عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

- ١ -

بيت الحكمة في بغداد

وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي

بقلم

سليم طه التكريتي

بغداد ـ الجمهورية العراقية

ما ان خرج الاسلام من بطن الجزيرة العربية الى الاطراف المحيطة بها ، حتى بدات في الحال اضخم عملية تزاوج فكري وحضاري في تاريخ البشرية جمعاء ، انها عملية الامتزاج بين ثقافة العرب الذي حملوا راية الاسلام ، وبين الشعوب التي اعتنقت هذا الدين الحنيف الذي انقذها من الظلم والاستعباد ، واخرجها من الظلمات الى النور.

لقد كانت عملية التزاوج هذه ، اوسع انطلاقة فكرية عمت البيئة الجديدة التي خلقها الاسلام ، وصبغ الحياة الفكرية والاجتماعية فيها بالصبغة العربية الاسلامية . والواقع ان العرب المسلمين كانوا ، وهم في غمار الزحف المقدس لنشر الاسلام، وترسيخ قواعده بين الشعوب الاخرى ، يعملون في ذات الوقت على نشر العلم والمعرفة في كل صقع يحلون فيه ، ويضمون اسس نهضة علمية وفكرية مزدهرة في كل بلد كانوا يصلون اليه . وهذا ما دفع المؤرخ الانكليزي « هربرت جورج ولز » الى القول بان « العلم كان يشب على قدميه وثبا في كل موضع وطاته قدم الفاتح العربي »(١) وكيف لا وقد وصف المفكر الفرنسي الشهير « غوستاف لوبون » الفاتحين العرب بقوله « ما عرف التاريخ ارحم فاتحا من العرب »(٢) .

وما ان استقر الامر للمسلمين في عهد بني امية ، حتى ظهرت اول حركة لترجمة العلوم الاخرى استهدفت نقل ما يتوفر نقله من العلوم عن اللغات الاجنبية ، كاليونانية ، والفارسية ، والهندية وغيرها الى اللغة العربية . ولقد اشرف بعض خلفاء بني امية وامرائهم على رعاية حركة الترجمة هذه وتشجيعها وكان من بينهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي يعتبره معظم المؤرخين خامس الخلفاء الراشدين في الاسلام .

وكان الامير خالد بن يزيد بن معاوية اشهر من رعى حركة النقل ، وبذل لها العون والتشجيع، فجلب لها النقلة والعلماء ، وخصص لها كل وقته واهتمامه . ذلك ان خالدا هذا قد عشق علم الكيمياء منذ الصغر ، وكان من بين الذين صحبوا « مسلمة بن عبدالملك بن مروان » الى بلاد الروم لمحاصرة القسطنطينية ، فلما ارتد المسلمون عنها ، ولم يستطيعوا افتتاحها ، حصل خالد في هذه الغزوة على كثير من كتب اليونان .

(١) هـ. ج. ولز : موجز تاريخ العالم ص ٢٠٦ ترجمة عبدالعزيز جاويد .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ط ١٩٤٥ .

WWW.ATTAWEEL.COM

ولم يقف شغف خالد بالعلم والكيمياء بصفة خاصة عند هذا الحد ؛ بل استقدم عددا من العلماء العاملين في مدرسة الاسكندرية ؛ وامرهم بنقل علوم الكيمياء ، التي كان العرب يطلقون عليها اسم « الصنعة » ، الى اللغة العربية وقد تكفل احد اولئك العلماء بهذا العمل وهو « اصطفن القديم(٣) ، وكانت تلك اول عملية نقل في الاسلام »(٤) .

واذ توقفت عملية نقل العلوم اثر الصراع الدامي على السلطة بين الامويين والعباسيين، والذي انتهى بزوال حكم بني امية ، وانتقال زعامة العالم الاسلامي الى بني العباس ، فانها ما لبثت ان عادت الى الظهور مرة اخرى ؛ وانتعشت في زمن المنصور ثم بلغت اوج ازدهارها في عصر الرشيد والمامون والمتوكل ، ويعود الفضل في ازدهارها الى التشجيع المقرون بالبذل المديد الذي سار عليه الخلفاء العباسيون ، والاخذ بيد المترجمين الذين نبغوا من بين العلماء .

ومع ان حركة الترجمة كانت في الاصل بمبادرة من الخلفاء ورعاية منهم ، سواء في ذلك الامويون او العباسيون ، الا ان هذه الحركة كانت في الواقع تجري على نطاق فردي محدود ، ومن دون ان تكون لها مؤسسة تتولى شؤونها ؛ وتنهض باعبائها . ذلك لان كل قادر على النقل من لسان ما الى لسان آخر سواء بدافع من خليفة او امير ، او راغب في العلم ، كان يعكف على ترجمة ما يراد منه ان يترجمه ، او ما يريد هو ان يترجمه حسب رغبته الخاصة .

غير ان تطورا كبيرا وخطيرا قد حدث في هذا الموضوع في عصر هرون الرشيد ، فالرعاية الفائقة التي اولاها هذا الخليفة للعلوم وللعلماء على حد سواء ، قد دفعت به الى ان يخص موضوع الترجمة بعناية فائقة لم تحظ بها قبلا ، وان ينشىء لها مؤسسة خاصة قائمة بذاتها ، عرفت باسم « بيت الحكمة » .

يعتقد كثير من المؤرخين ، ولا سيما الغربيين بان « المامون » هو الذي اسس بيت الحكمة . ومن هؤلاء المستشرق الالماني « بروكلمان » الذي يقول عن المامون بانه « اسس ببغداد (بيت الحكمة) والحق به مكتبة ومرصدا ، وصار بيت الحكمة مركز نشاط علمي دائب »(٥) .

ومنهم الدكتور « ماكس ما يرهوف » احد واضعي «كتاب تراث الاسلام » الذي اصدرته جامعة اكسفورد سنة ١٩٣٦ ، فقد قال « وقد انشأ المامون في بغداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة »(٦) .

ومنهم « الفريد غيوم » من المشاركين في كتاب تراث الاسلام ايضا والذي ذكر بان المامون قد انشأ مدرسة للعلماء في بغداد ؛ نشطت فيها دراسة الكتب الاغريقية وترجمتها نشاطا عظيما(٧) .

ولكن الذي نتصوره هو ان بيت الحكمة قد انشيء في عهد هرون الرشيد لا في عهد الخليفة المامون ؛ ونستدل على ذلك بما ذكره كل من « ابن النديم » «وابن القفطي » في كتابيهما ، عند الحديث عن ترجمة كتاب « المجسطي » من اليونانية الى العربية (٨) فقد ترجم هذا الكتاب الذي يتحدث عن علم الجغرافيا مرات عديدة ، ونقحت ترجماته عدة مرات . وكان اول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد البرمكي . فقد « فسره له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض بذلك . فندب لتفسيره «ابا حسان » و « سلما » صاحب بيت الحكمة فانقناه ، واجتهدا في تصحيحه ، بعد ان احضرا النقلة المجودين ، فاختبرا نقلهم ؛ واخذا بافصحه واصحه »(٩) .

وهذا ما يؤكد ان بيت الحكمة كان موجودا قبل ان ينتقض الرشيد على آل برمك ، ويقضي على نفوذهم الواسع ؛ اذ لم يعد لهم اي اثر بعد تلك النكبة .

كان الرشيد ، قبل ان ينشيء بيت الحكمة ،

---

(٣) اصطفن القديم واحد من العلماء الاسكندريين السبعة الذين عكفوا على دراسة مؤلفات جالينوس وكان من بينهم الراهب مريانوس الذي درس خالد على يديه في دير خارج دمشق .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢١١ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج ٤ ص ٩١ ترجمة د. السيد بكر يعقوب و د. رمضان عبدالتواب ط. ١٩٧٥ .

(٦) تراث الاسلام : ترجمة جرجيس فتح الله ج ١ ص ١٧٤ ط. ١٩٥٤ .

(٧) تراث الاسلام : ج ١ ص ٢٥٠ ترجمة توفيق الطويل ورفاقه ط ١٩٣٦ .

(٨) اصل كلمة « المجسطي » هي « ميجسال » في اللغة اليونانية وتعني « المجموعة » وقد حرف الاوربيون هذه الكلمة في القرون الوسطى الى ماجستي Magastii فنقلها العرب باسم « مجسطي » ويذكر اليعقوبي المؤرخ ان معنى المجسطي هو الكتاب الاعظم وانه يقع في ثلاث عشرة مقالة . اليعقوبي ج ص ١١٥ .

(٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ وابن القفطي : تاريخ الحكماء ص ٩٨ .

قد جلب الكثير من المؤلفات اليونانية من بلاد الروم، ففي الحملة التي استولى فيها على مدينتي « عمورية » و « انقره » امر الرشيد عماله هناك بالمحافظة على ما فيهما من مكتبات ؛ ثم لم يلبث ان انتدب بعد ذلك طائفة من العلماء الذين يعرفون اليونانية ، والارامية ، والسريانية ، للقيام بفحص ما تحويه تلك المكتبات من مؤلفات تتحدث عن الطب ، والفلك ، والرياضيات ، والحكمة ، والفلسفة ، وغيرها .

وقد اختار اولئك العلماء النفيس والنادر من تلك المؤلفات ، وعادوا به الى بغداد ، فاودعها الرشيد بيت الحكمة ، واوكل امر العناية بها الى الطبيب يوحنا بن ماسويه الذي اصبح رئيسا لبيت الحكمة ذاته فيما بعد .

كذلك اختلف الباحثون والمؤرخون في الموضع الذي كان يقوم فيه بيت الحكمة ، ولكن الشيء المؤكد هو وجوده في جانب الرصافة من بغداد لان الخلفاء العباسيين ما لبثوا بعد وفاة المنصور ان انتقلوا الى الرصافة وهجروا المدينة المدورة التي بناها المنصور في جانب الكرخ .

ولقد كانت نواة بيت الحكمة من الكتب ، هي الخزانة التي جمعها ابو جعفر المنصور ، وافرد لها جناحا خاصا في قصر الخلد الذي كان يسكنه في المدينة المدورة ، وقد انتقلت هذه الخزانة بحكم الارث الى هرون الرشيد ، فنماها ووسعها بما اضاف اليها من الكتب التي جلبت له من البلدان الاخرى .

وقد تساءل بعض المؤرخين عما اذا كان بيت الحكمة جناحا من اجنحة احد قصور الرشيد او المأمون ، ام انه كان يقوم في بناية خاصة به ، منفصلة عن بقية القصور ، والذي يتراءى لنا ان بيت الحكمة كان يقوم في بناء خاص ، كما نستدل على ذلك من الوصف الذي سنورده له فيما بعد .

وكان من نتائج اختلاف المؤرخين حول الخليفة الذي انشأ بيت الحكمة؛ ان اختلفوا اختلافا شديدا حول تحديد التاريخ الذي انشئت فيه هذه المؤسسة، فالمستشرق الانكليزي « دبلاسي اديري » وهو من القائلين بان المأمون هو الذي انشأ بيت الحكمة ، يذكر في كتابه « الفكر العربي ومكانته في التاريخ » ان بيت الحكمة قد انشىء في عام ٢١٧هـ ٨٣٢م(١٠).

(١٠) De Lacy Oleary: Arab Thoght its Place in History P. 112.

غير اننا لا نعرف السند التاريخي الذي اعتمد عليه « اوليري » في تحديد مثل هذا التاريخ .

× × ×

كان بيت الحكمة مقسما الى عدد من الاقسام والقاعات والغرف .. فهناك غرف كثيرة للتدريس يحضرها الطلاب من مختلف انحاء العالم لتلقي العلوم فيها على ايدي اساتذة منتدبين لتدريس تلك العلوم ، اما المكتبة فكانت تتالف هي الاخرى من عدد من الغرف ؛ مزودة برفوف تصف عليها الكتب .

والى جانب المكتبة وغرف التدريس توجد قاعة واسعة مخصصة لالقاء المحاضرات ؛ وعقد المناظرات العلمية ، وفي هذه القاعة كان النقاش والجدل يطرح علانية ؛ وبمنتهى الحرية ؛ حول شتى الموضوعات المختلفة بما في ذلك الموضوعات التي تخص العقيدة الاسلامية .

وهناك غرفة خاصة معدة للاستراحة يؤمها الدارسون والمدرسون والمطالعون والعاملون في المكتبة ؛ ليستريحوا فيها من عناء العمل ، ولكي يشنفوا اسماعهم بالاستماع الى الانغام الشجية التي يعزفها جوق موسيقي في القاعة ذاتها(١١) .

وانفردت في بيت الحكمة غرف اخرى للمترجمين ، واخرى غيرها للذين يقومون بمراجعة تلك الترجمات وتنقيحها ، واصلاح كل خطا فيها ، في حين تقوم غرف خاصة بالنساخين الذين يقومون بنسخ الكتب اما لانفسهم ، او لحساب الغير ، كذلك توجد غرف معدة لعمل المجلدين الذين يتولون تجليد كل كتاب يدخل الى بيت الحكمة ، بالاضافة الى الغرف المهيأة للورقين ، وخازني الكتب والمناولين ، الذين ينقلون الكتب من الرفوف الى المطالعين والنساخين والمجلدين وما سواهم .

وقد اشتهر عدد من المجلدين والعاملين في بيت الحكمة من اشهرهم المجلد «ابن ابي الحريش» وكانت النساء يزاولن اعمالا في بيت الحكمة بصفة مناولات . وقد اشتهرت من بينهن « توفيق السوداء » التي كانت مناولة للكتب في عهد ابي منصور بن محمد الخازن(١٢) .

ولم يكن العمل في بيت الحكمة وقفا على طائفة

(١١) من روائع حضارتنا : الدكتور مصطفى السباعي ص ١٨٠ .

(١٢) سليم طه التكريتي : مصادر الفكر العربي الاسلامي ص ٧٤ مخطوط

معينة من العلماء فقد كان في مستطاع كل حاذق باحدى اللغات الاجنبية ، وقادر على النقل عنها ، ان ينضم الى زمرة النقلة كما كان في مقدور كل من يعرف القراءة والكتابة باحدى اللغات ان يؤم قسم المكتبة ، ويطلب اي كتاب متوفر فيها ليقراه لكنه كان يحظر على المطالع حظرا باتا ان يكتب اية تعليقات او تفسيرات ، بل واية تصحيحات على هوامش الكتاب الذي يطالعه .

كذلك كان باستطاعة اي شخص ان يستعير من المكتبة اي كتاب يشاء ، فيخرجه منها الى مقره ، وقد تطول مدة الاستعارة هذه شهرا كاملا .

× × ×

كان العمل في بيت الحكمة منسقا تنسيقا بديعا . فقد كان المترجمون ينقسمون الى عدة اصناف . صنف ينقل من اللغة الاجنبية التي يحذقها الى اللغة العربية راسا . وصنف لا يحذق اللغة العربية لكنه يحذق لغتين اجنبيتين او اكثر ، وكان يعرف اليونانية والسريانية ، او اليونانية ، والسريانية ، والفارسية في وقت واحد . فمثل هذا الصنف قد ينقل عن اليونانية الى السريانية ، او عنها الى الفارسية .

حتى اذا ما انتهى من عملية النقل هذه ، تولى مترجمون من الملمين باحدى هذه اللغات ترجمة ما تم نقله الى اللغة العربية . ولذلك فان كثيرا من المصنفات اليونانية في الدرجة الاولى ، لم تترجم الى اللغة العربية مباشرة ، وانما جرت ترجمتها الى السريانية او الفارسية ، ثم نقلت مجددا عن هاتين اللغتين الى اللغة العربية . وكانت الترجمة في بيت الحكمة تتم عن ست لغات هي اليونانية ، والسريانية ، والفارسية ، والهندية ، والعبرية ، والقبطية . وقد جرت ترجمة بعض الكتب عن اللغة النبطية ايضا .

وكثيرا ما يحدث ان تكون بعض هذه النقول غير دقيقة ، وركيكة العبارة ، او « عفطية اللفظ » حسبما يسميه « ابن النديم » عند تقييمه لبعض المترجمين . ولذلك يتولى مترجمون آخرون من المتضلعين باللغة العربية ، مراجعة امثال هذه الترجمات ، وتصحيحها ، وتقويمها وكان على راس هؤلاء الفيلسوف الكندي .

وكان قسم الترجمة في بيت الحكمة مصنفا حسب موضوعات الكتب التي يراد ترجمتها . فهناك مترجمون مختصون بترجمة كتب الفلسفة ، واخرون بكتب الطب ، وغيرهم بمصنفات الفلك والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم .

وكان الاسلوب الذي يعتمده المترجمون في ذلك الوقت يستند الى اتباع واحدة من طريقتين ما تزالان شائعتين لدى المترجمين حتى الوقت الحاضر .

فالطريقة الاولى تعتمد الترجمة الحرفية الدقيقة ، اي ترجمة العبارات كلمة فكلمة ، والتقيد بالالفاظ الاصلية تقيدا تاما ، وعدم التصرف او الخروج على هذه القاعدة .

اما الطريقة الثانية فانها تعتمد على ترجمة معنى العبارة دون التقيد باللفظ الاصلي ، وذلك بان يقرا المترجم الكتاب الذي يريد ترجمته ، باممان وبعد ان يستوعب معناه في ذهنه يشرع بنقله الى اللغة التي يحسنها .

وقد اتى على وصف هاتين الطريقتين في الترجمة « بهاءالدين العاملي » صاحب كتاب « الكشكول » المتوفى سنة ١٠٣١هـ ١٦٢٢م فقال « قال الصلاح الصفدي(١٣) والتراجمة في النقل طريقان : احدهما طريق « يوحنا ابن البطريق » و « ابن الناعمة الحمصي » وغيرهما ، وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى ، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى ، فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة ردية .

والطريق الثاني في التعريب . طريق حنين بن اسحق والجوهري(١٤) وغيرهما ، وهو ان يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها ، وهذا الطريق اجود »(١٥) .

ولقد ادى اتباع المترجمين للطريقة الاولى الى ظهور ترجمات ضعيفة ومفككة ، على ما نشهد امثاله في وقتنا الحاضر الذي نعيش فيه الآن ، وقد اشار « ابن النديم » الى امثال هؤلاء المترجمين منهم « ابن شهدي الكرخي » ومنهم « لاحبي » الذي قال عنه « انه جيد المعرفة بالسريانية ، عفطي الالفاظ

---

(١٣) صاحب كتاب « فوات الوفيات » وهو تكملة لكتاب ابن خلكان « وفيات الاعيان » وقد طبع مؤخرا في ثمانية مجلدات

(١٤) هو ابن سعيد الجوهري من كبار المترجمين في عصر المامون.

(١٥) نقل ذلك العلامة « كرلونللينو » الاستاذ بالجامعة المصرية سابقا ومؤلف كتاب « علم الفلك تاريخه عند العرب في القرن الوسطى ص ٢٢٦ »

بالعربية » ؛ ومنهم « قويري » ايضا الذي قال عنه ان «كتبه مطرحة مجفوة لان عبارته كانت عفطية غلقة » .

× × ×

اتسع نطاق العمل في بيت الحكمة اتساعا كبيرا نتيجة ما جمعه فيه الرشيد والمأمون من خزائن الكتب القديمة التي جلبت من الاقطار الاخرى . فكانت هذه الكتب تجلب من اسيا الصغرى ، ومن الهند ، وايران ، وجزيرة قبرص ، بالاضافة الى ما كان يجمعه السريان من كنائسهم واديرتهم في الشام وبلاد الجزيرة(١٦)(*) .

كانت اول مجموعة من الكتب العلمية باللغات اليونانية والسريانية ضمت الى بيت الحكمة ، هي الكتب التي استجلبها هرون الرشيد من عمورية وانقره ، كما اشرنا الى ذلك قبلا .

وجلب المأمون مجموعة من الكتب اليونانية من جزيرة قبرص . قال « ابن نباته المصري » في كتابه « سرح العيون في شرح قصيدة ابن زيدون » ان المأمون جعل « سهلا بن هارون » على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص . وذلك ان المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها احد فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته ، وذوي الراي عنده . واستشارهم في حمل هذه الخزانة الى المأمون؛ فكلهم اشاروا اليه بعدم الموافقة ، الا مطران واحد فانه قال « الراي ان تعجل بانفاذها اليه ، فما دخلت هذه العلوم العقلية في دولة شرعية الا افسدتها ، واوقعت بين علمائها » . فارسلها اليه ، واغتبط بها المأمون »(١٧) .

واستجلب المأمون من القسطنطينية مجموعة اخرى من هذه الكتب ايضا ، تحدث عنها « ابن النديم » في فهرسته فقال « ان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يساله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فاجابه الى ذلك بعد امتناع ، فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم «الحجاج بن مطر » و « ابن البطريق » و « سلم » صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فاخذوا منها مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل ، وقبل ان « يوحنا بن ماسويه » كان ممن انفذ الى بلد الروم(١٨) .

كذلك ذكر ابن النديم ان ممن عنى باخراج الكتب من بلد الروم هم محمد ، واحمد ، والحسن بنو « شاكر المنجم »(١٩) .

وهناك مجموعة اخرى من الكتب القديمة جيء بها من مدينة اصفهان . وقد ذكر «ابن النديم» هذه المجموعة فقال « والذي رايته انا بالمشاهدة ان « ابا الفضل بن العميد » انفذ الى ها هنا في سنة، نيفا واربعين كتابا اصيبت في اصفهان في سور المدينة ، فاستخرجها اهل هذا الشأن مثل « يوحنا »(٢٠) .

والى جانب نفائس الكتب ، كان بيت الحكمة يضم مجموعة من الخرائط والمصورات البلدانية ، وقد ذكر «المسعودي» المؤرخ في كتابه « التنبيه والاشراف » هذه الخرائط والمصورات فقال عنها « رايت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب بانواع الاصباغ ، واحسن ما رايت ... في « الصورة المأمونية » التي عملت للمأمون ، اجتمع على صنعتها عدة من حكماء اهل عصره ، صور فيها العالم باقلاكه ونجومه ، وبره وبحره ، وعامره وغامره ، ومساكن الامم ، والمدن ، وغير ذلك . وهي احسن مما تقدمها من جغرافيا « البطليموس » وجغرافيا « مارتيوس » وغيرها(٢١) .

و « الصورة المأمونية » هذه عبارة عن خارطة مصورة للارض ، انتدب لها المأمون طائفة من علماء عصره ، فوضعوا له صورة الارض فنسبت اليه ودعيت بالصورة المأمونية وقد ذكر الكاتب الاندلسي ، محمد بن ابي بكر الزهري » صاحب « كتاب الجغرافيا » ان « الصورة المأمونية » قد اجتمع عليها وعلى عملها سبعون رجلا من فلاسفة العراق ، فوضعوها على صفة الارض ، وان كانت على غير الحقيقة من ذلك ، لان الارض كروية والجغرافيا بسيطة(٢٢) .

---

(١٦) سعيد الديوجي : بيت الحكمة ص ٢٥

* المقصود ببلاد الجزيرة هي المنطقة المحصورة بين الفرات ودجلة في كل من العراق وسوريا ومنها ديار بكر وجزيرة ابن عمر وغيرها

(١٧) ابن نباتة المصري : سرح العيون في شرح قصيدة ابن زيدون ص ٢٢٦ ، والدكتور احمد الشلبي في كتابه « تاريخ التربية الاسلامية ص.١٥ »

(١٨) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٣

(١٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٤

(٢٠) ذات المصدر ص ٢٥٠

(٢١) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٦٦ .

(٢٢) الدكتور احمد سوسة : الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية مجلد اول ص ١١٢

وبالاضافة الى الصورة المأمونية وضع علماء الهيئة والجغرافيا للمأمون كتابا في وصفها اعان عمال الدولة على التعرف الى البلاد والامم التي كانت خاضعة للدولة العباسية(٢٣) .

وكذلك كان بيت الحكمة يحتوي على كتب كتبت بخطوط قديمة من امثال الخط الحبشي ، والخط الحميري ، الى جانب الكتب المكتوبة بالخط الارامي ، والسرياني ، والعبري ، واليوناني ، والنبطي وغيرها ، كما اشار الى ذلك ابن النديم . كذلك ذكر ابن النديم نفسه عن وجود كتاب في بيت الحكمة ، مكتوب على جلد ادم بخط عبدالمطلب بن هاشم جد الرسول عليه الصلاة والسلام(٢٤) .

× × ×

كان من بين الاسباب التي شجعت المترجمين على نقل الكتب القديمة، ما كانوا يحصلون عليه من اموال وهبات ، من الخلفاء العباسيين ، ومن الاشخاص الذين كانوا يهتمون بهذه العلوم ؛ من امثال بني برمك، وبني شاكر المنجم؛ وغيرهم. فقد كان المأمون مثلا يدفع الى « حنين بن اسحق » زنة ما يترجمه ذهبا . ولذلك كان « حنين » يعمد الى الكتابة على ورق سميك وثقيل ، وباحرف كبيرة ، لكي ترتفع زنتها ، فتزداد مكافاته(٢٥) .

وكان اولاد « موسى بن شاكر » ممن عنوا باخراج الكتب من بلاد الروم « وبذلوا الرغائب ، وانفذوا حنين بن اسحق » وغيره الى بلد الروم ، فجاؤوهم بطرائف وغرائب المصنفات في الفلسفة ، والهندسة ، والموسيقى ، والارتماطيقي ، والطب ..... قال « ابو سليمان المنطقي السجستاني » ان « بني المنجم »(٢٦) كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم « حنين بن اسحق » ، و « حبيش بن الحسن » ، وثابت بن قرة « وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة »(٢٧)

وكان من بين الذين شجعوا حركة الترجمة ، وبذلوا الاموال في سبيلها ، الوزير « محمد بن عبد الملك بن الزيات » ، فقد كان يقارب عطاؤه للنقلة وللنساخ الفي دينار في الشهر »(٢٨) .

وكان من المشجعين لحركة الترجمة ايضا « علي بن يحيى » المعروف بالمنجم الذي نقل له كثيرا من الكتب الطبية ، و « ابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب » وكان حريصا على نقل كتب اليونانيين الى لغة العرب ، كثير البذل في سبيلها ؛ ومنهم ايضا « عيسى بن يونس الكاتب الحاسب » من اهل العراق ، وكانت له عناية في تحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية(٢٩) .

وظلت حركة تشجيع الترجمة والمترجمين سارية المفعول حتى الى عصور ملوك الطوائف . فقد كان لدى «سيف الدولة» طبيب اسمه «عيسى الرقي» ينقل له من السرياني الى العربي»(٣٠) .

ولقد راجت الكتب المترجمة رواجا منقطع النظير في كل ارجاء العالم الاسلامي ، ونفقت سوقها ، وكانت تباع باغلى الاثمان . ذكر العالم المنطقي والمترجم « يحيى بن عدي التكريتي » ، وهو من تلامذة « حنين بن اسحق » ، « ان شرح « الاسكندر » « للسماع » كله ، وكتاب « البرهان »(٣١) رايته في تركة « ابراهيم بن عبدالله» الناقل النصراني ، وان الشرحين عرضا عليّ بمائة وعشرين دينارا . فذهبت لاحتال في الدنانير ، ثم عدت فاصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل من خراسان بثلاثة الاف دينار(٣٢) .

ويذكر يحيى بن عدي ايضا انه التمس من ابراهيم بن عبدالله نص « سوفسيطا » ونص « الخطابة » ونص « الشعر »(٣٣) بخمسين دينارا ؛ فلم يبعها له واحرقها وقت وفاته(٣٤) .

× × ×

ما ان تم انشاء بيت الحكمة ، ووضعت خزائن الكتب التي جمعت في عهد المنصور والرشيد فيه ، حتى عين له رئيس يعني بشؤونه ، ويشرف على

(٢٢) نفس المصدر
(٢٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩
(٢٥) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج٢ ص ١٦١ ط ١٩٥٨ .
(٢٦) يقصد بهم اولاد موسى بن شاكر الملقب بالمنجم : انظر مقالتنا عنهم في مجلة العربي « الكويتية سنة ١٩٧١ »
(٢٧) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ وابن القفطي ص ٣٠-٢١
(٢٨) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢ ص١٧٠ ط ١٩٥٨
(٢٩) المصدر السابق .
(٣٠) ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ج١ ص ١٤٠ .
(٣١) هذان الكتابان من كتب « ارسطو » وقد فسرهما « الاسكندر الافروديسي » .
(٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٨ .
(٣٣) هذه الكتب الثلاثة من مؤلفات ارسطو ايضا .
(٣٤) ابن النديم ص ٢٦٨ .

اعمال الترجمة فيه ، ويساهم نفسه في تلك الاعمال، وكان يطلق عليه اسم « صاحب بيت الحكمة » .

كان « سلم » ، ولم يذكر المؤرخون سوى اسمه هذا مجردا ، اول من تولى رئاسة بيت الحكمة في عصر هرون الرشيد ، وكان حاذقا في اللغتين الفارسية واليونانية بدليل انه كان من بين الذين اختارهم كل من الرشيد والمامون لجلب الكتب العلمية من بلاد الروم .

وكان « سلم » هذا يشرف في الاصل على ترجمة الكتب الفارسية التي تجمعت في بيت الحكمة ، وذكر عنه « ابن النديم » بانه كان ينقل من اللسان الفارسي الى العربي ، غير ان ابن النديم لم يذكر له اي كتاب مترجما كان ام موضوعا .

ومن الذين تولوا رئاسة بيت الحكمة «يوحنا ابن ماسويه ، الذي ادخلناه ضمن كبار المترجمين ويرى بعض المؤرخين ان « يوحنا » هذا كان اول رئيس لبيت الحكمة ، وانه كان بالاضافة الى ذلك يشرف على ترجمة الكتب التي جلبها الرشيد من عمورية وانقرة ، وكان يعمل تحت يده عدد من المترجمين ، والكتبة ، والنساخ .

ومن الذين تولوا رئاسة بيت الحكمة في عهد المامون : « سهل بن هارون » وهو فارسي شديد التعصب لقومه الفرس ، مقذع الهجاء للعرب . وكان « سهل » هذا يشرف على ترجمة الكتب التي وردت للمامون من جزيرة قبرص .

وكان سهل بن هارون قد انتقل اول الامر من فارس الى البصرة ، ومن ثم جاء بغداد والتحق بخدمة المامون . وكان حكيما وفصيحا وشاعرا ويقول « ابن النديم » عنه انه « فارسي الاصل » شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ، ورسائل في البخل ، وعمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ، ويرغبه فيه ، ويستميحه في خلال ذلك ، فاجابه الحسن على ظهر رسالته « وصلت رسالتك ووقفنا على نصيحتك ، وقد جعلنا المكافاة عنها القبول منك والتصديق لك والسلام ...(٢٥) .

ومن ثم تولى « حنين بن اسحق » رئاسة بيت الحكمة طيلة عهدي المامون والمعتصم وحتى عصر المتوكل ، وقد نهض بهذه المهمة على احسن وجه ؛ واحاط نفسه بعدد من المترجمين الذين دربهم على هذه الصنعة خير تدريب .

---

(٢٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ .

كان من نتائج الاضطراب الذي اعقب وفاة المامون ، وتعاظم نفوذ الجند الاتراك ، وتدخلهم في شؤون السلطة ايام المعتصم ، ثم انتقال مركز الخلافة من بغداد الى سامراء ، ان قلت العناية ببيت الحكمة ، وانفرط عقد العلماء والدارسين فيها ، وسرى الخراب اليها ، حتى تولى « المتوكل على الله » الخلافة (٢٣٢هـ ٨٤٧م) ، فقد كان المتوكل ـ مع ما اشتهر به من الشدة والقسوة ـ محبا للعلم ، وراعيا للعلماء ، اعاد فتح بيت الحكمة وبذل له الهبات ، ولذلك اتت حركة الترجمة خير ثمارها في عهده ، ذلك لانه عهد برئاسة بيت الحكمة مجددا الى « حنين بن اسحق » فنهض حنين بهذه المهمة خير نهوض ، واحاط نفسه بعدد من خيرة المتدربين على اعمال الترجمة احسن تدريب ، وبقي بيت الحكمة قائما الى ان داهم المغول بغداد « فذهبت خزانة الكتب فيما بعد ، وذهبت معالمها، وعفيت آثارها »(٢٦) .

× × ×

لقد كان انشاء بيت الحكمة فتحا مبينا للعرب المسلمين في ميدان العلم والمعرفة ، يضاهي فتوحاتهم الكبرى في ميادين السياسة . يقول المستشرق الانكليزي « ديلاسي اوليري » « لقد انشا الخليفة المامون مدرسة سماها بيت الحكمة ، وجعلها معهدا تعد فيه الترجمات لكتب علماء اليونان ، ليتم تداولها بين العرب ..... ومنذ ذلك الوقت سارت الترجمة قدما . ولم يمض وقت طويل حتى وجد الطلاب من العرب ، ان قد تيسر لهم الاطلاع في العربية على الشطر الاكبر من مؤلفات جالينوس ، وابقراط ؛ وبطليموس ، واقليدس ، وارسطو ، وغيرهم من فطاحل المؤلفين في اليونان »(*) .

ويعتبر الدكتور فيليب حتي بيت الحكمة « اهم مجمع علمي تم تشييده منذ ان انشئت مدرسة الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد . وكان هذا المعهد في الوقت ذاته من اهم خزائن الكتب في الاسلام ، على اختلاف دوله وعصوره »(٢٧) .

× × ×

---

(٢٦) ماكس مايرهوف في « تراث الاسلام » ج١ ص ١٧٧ ترجمة جرجيس فتح الله .

(*) ديلاسي اوليري : كيف انتقلت علوم اليونان الى العرب ص ٢٢٧ .

(٢٧) Ph. Hitti : History of the Arabs P. 316

شارك عدد كبير من العلماء والمترجمين في النهوض باعمال الترجمة في بيت الحكمة وفي خارجها. فمن بين الذين عملوا بصفة مترجمين « سلم » صاحب بيت الحكمة الذي كان يترجم عن الفارسية وكان في الوقت ذاته يشرف على ترجمة الكتب التي وردت للمأمون من الاستانة ، وكان يشاركه في ذلك سهل بن هارون بن رانوي الفارسي ؛ وهو ينقل عن الفارسية ، وقد أشرف على ترجمة الكتب التي وردت للمأمون ايضا من جزيرة قبرص . وعمل سعيد بن هارون الكاتب في بيت الحكمة ايضا وكان ينقل من الفارسية الى العربية .

واشتغل يوحنا بن ماسويه الى جانب رئاسته لبيت الحكمة في ترجمة كتب الطب التي جلبت للرشيد من بلاد الروم . وتولى ابو بكر يحيى ابن البطريق ترجمة كتب ارسطو في الفلسفة ، وابقراط في الطب .

وعمل حنين بن اسحق العبادي مترجما في بيت الحكمة ورئيسا لها ، فقام بترجمة كتب الطب والفلسفة والفلك وغيرها وسار على منواله كل من ولده اسحق بن حنين ، وابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم ؛ وكانا من المترجمين في بيت الحكمة .

ومن المترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة ايضا ، وكانوا ينقلون عن اليونانية والسريانية ، كل من يحيى بن ابي منصور المنجم الموصلي ، وحبيب ابن بهريز مطران الموصل ، والعالم الرياضي ثابت بن قرة الصابي ، وقسطا بن لوقا البعلبكي . كما كان من مشاهير المترجمين في بيت الحكمة ، الحجاج بن مطر ، وعمر بن الفرخان الطبري .

وبالاضافة الى اعمال الترجمة اشترك عدد من هؤلاء المترجمين في البعثات التي ارسلت الى بلاد الروم وغيرها للبحث عن الكتب العلمية فيهـا ؛ وجلبها الى بغداد .

وقد شارك معظم هؤلاء المترجمين في ترجمة كتب اليونان ، اما عن اللغة الاغريقية راسا ، او عن الترجمات السريانية التي وضعت للكتب اليونانية ، وكان هذا الفريق وفير العدد ، نذكر منهم غير الذين وردت اسماؤهم في سياق البحث ، « البطريق » والد « يحيى ابن البطريق » ، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ، وهلال الحمصي ، وسلام الابرش ، وزوربا ابن ماجوه الناعمي الحمصي ، وباسيل المطران ، واصطفن بن باسيل ، وابو نوح بن الصلت ، ويحيى ابن عدي التكريتي ، واخوه ابو الفضل جرير بن عدي التكريتي ، ويوحنا بن يوسف الكاتب ، وايوب الرهاوي ؛ واخرون غيرهم ممن اورد ابن النديم اسماءهم في كتابه « الفهرست » .

اما الذين اشتهروا بالنقل من الفارسية فهم آل نوبخت ، وعبدالله بن المقفع ، وموسى ويوسف ولدا خالد ، وعلي بن زياد التميمي ، والحسن ابن سهل ، واحمد بن يحيى البلاذري ، وجبلة بن سالم ، واسحق بن يزيد ، ومحمد بن الجهم البرمكي ، وموسى بن عيسى الكردي ، وهشام بن القاسم وغيرهم .

وكان النقلة من اللغة الهندية الى العربية يؤلفون فريقا كبيرا ايضا من اشهرهم ابو الريحان البيروني ، ومن اقدمهم منكة الهندي ، وابن دهن الهندي الذي كان يشرف على بيمارستان البرامكة، وصالح بن بهلة ، وسواهم .

وكان كل من « ابن وحشية » و «ابن العوام» ينقلان عن اللغة النبطية ، وقد تخصصا في نقل كتب الفلاحة والنبات .

ولقد تناولت حركة الترجمة سواء في العصر الاموي ام في العصر العباسي ، سائر العلوم والمعارف ، وعلى الاخص علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء والحركات والهندسة ، وذلك لانه لم يكن للعرب في جاهليتهم سوى المام بسيط وبدائي بهذه العلوم .

وبلغ اندفاع العرب في نقل العلوم القديمة اقصى مداه في عصري الرشيد والمأمون بصفة خاصة وذلك لانه ما يكاد يصل كتاب الى يد الخليفة او سواه من المعنيين بهذه العلوم ، حتى يقبل القوم على ترجمته واستنساخ تلك الترجمة باعداد كبيرة ، ووضع الشروح والتفاسير له والتعليقات عليه في كتب خاصة ومطولة احيانا .

واكثر من هذا ان كثيرا من الكتب ، وعلى الاخص مؤلفات ارسطو وافلاطون وابقراط وجالينوس وبطليموس واقليدس وغيرهم ، قد ظهرت عدة ترجمات لها ، واقبل اكثر من مترجم على نقلها ، واكثر من شارح على شرحها والتعليق عليها .

ولنأخذ على ذلك مثلا كتاب « المجسطي » فقد ترجم هذا الكتاب عدة ترجمات على ايدي مترجمين مختلفين ، كما نقحت بعض هذه الترجمات ، وصححت مرات عديدة . فقد كان من بين الذين ترجموا المجسطي ، الحجاج بن مطر ، وسهل بن ربن الطبري ، وحنين بن اسحق ، وابو الريحان

البيروني . وكان ثابت بن قرة الصابي على راس الذين اصلحوا ترجمة المجسطي ، وتوجد الان نسخة خطية من ترجمة الحجاج بن مطر لكتاب المجسطي. في مكتبة « ليدن » بهولندا(٣٨) .

ومثل هذا القول يصدق ايضا على كتاب « السند هند » الشهير الذي وضعه العالم الرياضي الهندي « براهمغبت » في سنة ٦٢٨م بعنوان « براهمسهت سندهانت Brahma Shopta Sind Hanta ومعناه « كتاب الهيئة المصحح المنسوب الى براهمغبت » .

وكان الخليفة ابو جعفر المنصور قد امر بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، فاقبل على ترجمته غير واحد من المترجمين ، كان اولهم ابراهيم بن حبيب الفزاري ، ثم ترجمه من بعده يعقوب بن طارق المنجم ، واخرون غيره .

× × ×

كان الطب والفلك من اول العلوم التي اشتغل العرب المسلمون بنقلها الى اللغة العربية ، وذلك يعود في الدرجة الاولى الى الاهتمام الكبير الذي يوليه العرب لهذين العلمين . فقد ذكر الاستاذ « كرلونللينو » في كتابه « علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى » ان « اول ما اشتغلت به البلاد الاسلامية من العلوم ، هي العلوم العملية، وخصوصا الطب والكيمياء ، واحكام النجوم»(٣٩).

في حين يذكر دبلاسي اوليري في كتابه « كيف انتقلت علوم اليونان الى العرب » ان « هناك من الاسباب ما يدعو الى الاعتقاد بان بعض الترجمات الاولى التي نقلت عن اليونانية مباشرة ، كانت تخص الفلك والرياضيات »(٤٠) .

وهذا الاهتمام بعلوم الطب والكيمياء والفلك قد برز حتى في عهد الامويين ، وكان من العوامل التي وجهت انظار العرب الى نقل كل ما تيسر لديهم نقله من الكتب التي تبحث هذه العلوم ، والعمل على نشرها قبل المبادرة بنقل غيرها من المصنفات .

فقد ثبت ان اول كتاب في الرياضيات ترجم الى اللغة العربية هو كتاب « السندهانتا » الذي اشتهر لدى العرب باسم « السند هند » الذي سبقت الاشارة اليه . فقد جلب هذا الكتاب احد اعضاء الوفد الهندي الذي قدم الى بغداد سنة ١٥٤هـ ٧٧١م ، وحظي بمقابلة الخليفة ابي جعفر المنصور(٤١) . وكان من اوائل الكتب الطبية التي ترجمت الى العربية كتاب « شاناق » عن السموم وقد ترجمه « منكه » الهندي ، كما نقل « كنكه » الهندي ؛ وهو من كبار علماء الهنود ، كثيرا من الكتب الطبية والفلكية الى اللغة العربية .

× × ×

كانت غالبية الكتب التي جرت ترجمتها من اللغة اليونانية ، سواء في بيت الحكمة ام خارجه ، من الكتب اليونانية . وكانت هذه الكتب المترجمة تؤلف قائمة ضخمة يصعب تعدادها ، ذلك لان ما ذكره كل من ابن النديم ، والقفطي ، وابن ابي اصيبعة ، وابن جلجل ، وحاجي خليفة ، وغيرهم ممن عنوا بجمع اسماء المصنفات واصحابها ، لا يؤلف في الواقع سوى نسبة ضئيلة مما تمت ترجمته من هذه الكتب . ذلك لان عدد الكتب اليونانية المترجمة قد تجاوز الخمسمائة كتاب بل اكثر من ذلك بكثير .

وكانت معظم الكتب التي ترجمت عن اللغات الهندية تبحث في الطب والفلك والرياضيات من امثال « السند هند » وكتاب « ارياهيت » وكتاب « كهند كهاديك » وكتب « شاناق » في السموم والتدبير ، وكتاب « روسا » ــ وهي امراة هندية ــ في امراض النساء وعلاجها ، وكتاب «شارك سهنيا» في الطب الهندي ، وكتاب « شارك سهنيا » في الطب ؛ وكتاب «بيدبا » في الحكمة ، وكتاب « اسرار المسائل » وكتاب « سير » الذي ترجمه «منكه» ؛ وكتاب « عشر مقالات » لمنكه ايضا وكتاب « سدستاق واستاكي » الجامع وقد ترجمهما « ابن دهن » . وترجم البيروني كتاب « باتنجل سوترا » ؛ وكتاب «الكسوفين» عند الهنود ؛ وكتاب « لكهرجانكم راشاكات هند »(٤٢) .

ومن مؤلفات ومترجمات « كنكه » كتاب « اشودار » في الاعمار ، وكتاب القرانات الكبير . وكتاب القرانات الصغير ، وكتاب في التوهم ؛ وكتاب في احداث العالم ، وكتاب الدرر في القران(٤٣) .

---

(٣٨) جرجي زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية ج٢ ص ٢٢٢.
(٣٩) كرلونللينو : علم الفلك تاريخه عند العرب ص ١٤٣ .
(٤٠) De Lacy Oleary : How Greek Sciences Passed to the Arabs P. 175.

(٤١) كرلونللينو : علم الفلك تاريخه عند العرب ص ١٤٩ .
(٤٢) مهيش برشاد : بين اللغتين العربية والسنسكريتية مجلة « ثقافة الهند » الجزء الاول ص ٩٥ مارس ١٩٥٠.
(٤٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج٢ ص ١٧٧ .

وهناك كتب هندية اخرى ترجمت الى العربية ايضا منها كتاب سيرك الهندي ، وكتاب علامات الادواء ، وكتاب الحار والبارد ، وكتاب المواليد من تاليف الطبيب الهندي جوادر ، وكتاب سرود في الطب نقله منكه ، وكتاب عقاقير الهند من نقل منكه ايضا ، وكتاب «مختصر الهند في العقاقير » ؛ وكتاب علامات الجبالى ، وكتاب السكر ، وكتاب راي الهند في اجناس الحيات وسمومها .

وترجم البيروني ، الى جانب ما ذكرناه قبلا، كتابا عن طرق الحساب ، ومقالة في الامراض العفنة ومقالة في الجوابات الواردة من منجمي الهند ، كما اصلح ترجمة كتاب « اريابهت » .

ومن كتب الحكم والادب والاساطير التي نقلت من الهندية الى العربية كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندباد الكبير والسندباد الصغير ، وكتاب « بوداسف » وكتاب « بوداسف مغرد » ، وادب الهند والصين ، وكتاب «هايل» في الحكمة ، وكتاب الهند في قصة هبوط آدم ، وكتاب « دبك » الهندي وكتاب حدود الهند ، وكتاب « ساديرم » ، وكتاب ملك الهند القتال والسباح ، وكتاب «بيافر» عن اصول الالحان »(٤٤) .

بدات حركة النقل عن الفارسية الى العربية في عصر ابي جعفر المنصور كما اسلفنا ذكر ذلك وكان ابن المقفع في مقدمة الذين نقلوا عن الفارسية فقد ترجم ، الى جانب كليلة ودمنة ، كتاب سيرة ملوك العجم وهو الكتاب الفهلوي المعروف باسم « خداي نامة » وكتاب «الائين» وكتاب «التاج نامة» عن انظمة الدولة ، وكتاب التاج الذي قيل انه كان في سيرة انوشروان واردشير ، وكتاب مزدك وهو قصة روائية ، وعن الفارسية ايضا ترجم ابن المقفع بعض كتب ارسطو وفرفريوس .

وفي زمن ابن المقفع على وجه التقريب اشتغل بعض معاصريه من العجم ايضا في ترجمة كتب من الادب الفارسي الى العربية ؛ منهم محمد بن جهم البرمكي ، وزارويه بن شاهويه الاصفهاني ، ومحمد ابن بهرام بن مهيار الاصفهاني ، وهشام بن القاسم الاصفهاني(٤٥) .

ومن الذين ترجموا عن الفارسية ايضا بهرام ابن مردانشاه ، وموسى بن عيسى الكردي ، اللذان ترجما كتاب « خداينامك » . ولعل موسى بن عيسى هو الذي ترجم قصة السندباد التي بقيت منها ترجمة يونانية »(٤٦) .

وترجم ابان بن عبدالحميد اللاحقي كتاب سيرة اردشير ، وكتاب سيرة انوشروان ، وكتاب « بلوهر وبوداسف » وهذا الكتاب حكاية بوذية ترجمت للمانويين في « السند » فاعجبوا بها ، وعكفوا على قراءتها ، والى هذه الترجمة ترجع صياغتها الحالية »(٤٧) . كما ترجم « ابان » ايضا كتابا في الرسائل ، وكتاب حلم الهند ، وغيرها . وقيل انه ترجم هذه الكتب شعرا .

وترجم « علي بن زياد » كتاب زيج الشهر ، في حين ترجم اسحق بن يزيد كتاب « اختيار نامه » واثبت ابن النديم في كتابه طائفة كبيرة باسماء الاشخاص الذين قال انهم كانوا يقومون باعمال الترجمة من الفارسية الى العربية ، من امثال آل نوبخت ؛ والحسن بن سهل ، وعمر بن الفرخان وجبلة بن سالم ، واحمد بن يحيى البلاذري .

وكان من بين المترجمين الشهيرين عن الفارسية ابو العباس الدميري ، ومحمد بن خلف بن المرزبان الذي قيل عنه انه ترجم اكثر من خمسين كتابا(٤٨).

وتبدو اهمية بيت الحكمة فيما هياه من اجواء وامكانيات لذوي المواهب من العلماء والمفكرين ، الذين عكفوا على وضع مختلف المؤلفات في شتى اصناف العلوم العقلية منها والعملية . فقد استفاد من بيت الحكمة ، ومواظبة البحث والتاليف فيه ، عدد كبير من مشاهير العلماء والمؤرخين ، على راسهم العالم الرياضي الشهير محمد بن موسى الخوارزمي مؤسس علم الجبر والمقابلة ، والذي اشتهر لدى الغربيين باسم « اللوغارتمي » فاصبحت هذه الكلمة تعني « الجبر » ونقلت بشكلها المحرف حتى الى كتب الرياضيات التي تدرس في كل مدارس العالم العربي في الوقت الحاضر .

فلقد استطاع الخوارزمي بما اطلع عليه من الكتب المحفوظة في مكتبة بيت الحكمة ، ان يضع كتبه الرياضية هذه ، وان يؤلف الزيج الشهير بالاضافة الى كتبه التي تبحث في الاسطرلاب وغيره.

وبامر من الخليفة هرون الرشيد ، وفي بيت الحكمة نفسه ، وضع « الاصمعي » اللغوي الشهير

---

(٤٤) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، وابن النديم : الفهرست ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

(٤٥) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج٣ ص ١٠٢ .

(٤٦) ذات المصدر .

(٤٧) نفس المصدر ص ١٠٣ .

(٤٨) نفس المصدر .

كتابا عن تاريخ الملوك انغابرين ، كما وضع «الفراء» العالم النحوي المعروف ، وبامر من المأمون ، كتابه في اصول النحو ، حيث افردت له غرفة خاصة في بيت الحكمة .

وفي بيت الحكمة وضع العالم محمد بن اسحق ابن النديم كتابه الشهير « الفهرست » كما وضع « المسعودي » المؤرخ مؤلفاته « مروج الذهب » والاشراف والتنبيه وغيرها في ذلك المعهد العظيم

وفي بيت الحكمة ايضا وضع«حمزة الاصفهاني» كتابه « تاريخ الملوك والانبياء » معتمدا على المصادر التي توفرت له في تلك المؤسسة .

× × ×

الان وقد انتهينا من ابراز اهمية بيت الحكمة وما احدثه من ثورة في حركة الترجمة ، وفي نشر العلوم في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، لابد لنا من التحدث ، ولو بايجاز ، عن كبار المترجمين في ذلك العصر الزاهر ، سواء منهم الذين عملوا في بيت الحكمة ذاته ، او الذين ساهموا مساهمة حميدة قيمة في نقل التراث العلمي والفكري ، ذلك التراث الذي كان له اثره الكبير في تطور الفكر العربي الاسلامي ونضوجه ، وفي ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي كانت بحق وحقيقة ، المصدر الرئيس للمدنية العالمية الحاضرة .

١ ـ عبدالله بن المقفع

يقول العالم الفلكي الكبير « ابو معشر الفلكي » في كتاب « المذكرات » الذي الفه لحساب «شاذان ابن بحر » ان « حذاق الترجمة في الاسلام اربعة . حنين بن اسحق العبادي ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري . ونفهم من كلام « ابي معشر » هذا ، ان هؤلاء المترجمين اكثر حذقا في عمل الترجمة ، واوفر دقة واصالة من سواهم من المترجمين الاخرين . غير اننا نود ان نبدا بعبدالله بن المقفع لانه من اوائل المترجمين الحذاق والبلغاء . فقد باشر عمله في الترجمة في عهد ابي جعفر المنصور .

يكنى ابن المقفع ، وهو فارسي ، بابى عمرو واسمه الاصلي « روزبه » وقد ابدله الى «عبدالله» بعد اعلان اسلامه . ويدعى ابوه « داذويه » ولقب بالمقفع لمال احتجنه من بيت المال فضربت يداه وتقفعتا وكان ابن المقفع في اول امره كاتبا لدى « داود بن عمر بن الحسن » اخر ولاة بني امية في ولاية «كرمان» وقد جمع اموالا كثيرة ، ومن ثم اصبح كاتبا لدى عيسى بن علي العباسي عم الخليفة ابي جعفر المنصور ، وعلى يده اعلن اسلامه ، وان ظل يخفي عقيدته المانوية والزردشتية .

وكان ابن المقفع كاتبا مجيدا وشاعرا بليغا وهو من خيرة الذين نقلوا عن الفارسية الى العربية لكنه كان في الوقت ذاته شديد التعصب لقومه الفرس ، مقذع الهجاء للعرب . فقد كان في مقدمة الادباء الذين سعوا الى نشر الاداب الفارسية في العصر العباسي، والمفاخرة بما كان عليه ملوك فارس من ابهة وفخفة ، ومن الذين عمدوا الى نشر الافكار المانوية والزردشتية في المجتمع الاسلامي آنذاك .

كان اول ما ترجمه ابن المقفع عن الفهاوية ، اللغة الفارسية القديمة ، هو كتاب « كليلة ودمنة » وهو مؤلف هندي الاصل يدعى « بنجه تترا » اي « الكتاب الخمس »(٤٩) كما عرف ايضا باسم « اساطير بيدبا » وقد ترجمه ابن المقفع ترجمة بليغة تعد نموذجا بارزا من روائع النثر العربي . ولا عجب في ذلك فقد ذكر ان ابن المقفع قد تفقه في العربية على يد « الخليل »(٥٠) . وقد ضاع الاصل الفارسي والسنسكريتي لهذا الكتاب ، ولم تبق سوى ترجمته العربية التي ذاعت ذيوعا منقطع النظير في العالم الاسلامي . واعتمد الاوربيون على الترجمة العربية هذه فنقلوا كتاب كليلة ودمنة الى مختلف لغاتهم منذ اوائل القرن التاسع عشر .

وقد بقيت للكتاب ترجمة سريانية وضعها الداعية النسطوري « بود » في حدود سنة ٥٧٠م وتم نشرها على يد كل من « بيكل » و «بنفي» سنة ١٨٧٦(٥١) .

وترجمت كليلة ودمنة الى الفرنسية على يد المستشرق سلفستر دي ساسي ، ونشرت في باريس سنة ١٨١٦ . وترجمها « فولف » الى الالمانية ونشرها في شتوتغارت سنة ١٨٢١ . ونشرت لها ترجمة انكليزية في اكسفورد سنة ١٨١٩ ؛ وترجمة ايطالية في سنة ١٩١٠ ، وترجمة روسية سنة ١٩٣٤(٥٢) .

وترجم ابن المقفع ـ كما اشرنا الى ذلك قبلا ـ كتاب

---

(٤٩) دي بوير : تاريخ الفلسفة في الاسلام : ترجمة عبدالهادي ابو ريدة ص ١٢ .
(٥٠) المصدر نفسه ص ٢٩ .
(٥١) ديلاسي اوليري : الفكر العربي مكانته في التاريخ ص ١٢٢ .
(٥٢) بروكلمان : تاريخ الادب العربي : ج٢ ص ٩٢ ـ ٩٥ .

التاج ؛ وكتاب «الائين» وكتاب « ائين نامة » وكتاب « مزدك » ؛ وكتاب « تنسر » وغيرها .

وعن اللغة الفارسية ايضا ترجم ابن المقفع ثلاثة من كتب ارسطو هي « قاطيغورياس » ، « وبارامياس » و « انا لوطيقا » كما ترجم كتاب « ايساغوجي » لفرفريوس(٥٢) .

والى جانب هذه الترجمات وضع ابن المقفع عدة كتب منها كتاب « الادب الكبير » الذي سمي في بعض الاوقات باسم « الدرة اليتيمة » ، والادب الصغير ، وكتاب رسالة الصحابة ؛ وكتاب الدرة الصغيرة او الثانية ؛ وحكم ابن المقفع التي نشرها العلامة « محمد كردعلي » في « رسائل البلغاء » . ولابن المقفع قصيدة في الشهور المسيحية محفوظة في مكتبة جامع اياصوفيا باسطنبول وقد نشرت مع ترجمة المانية لها ، كما ان له رسالة في معارضة القرآن يقول بروكلمان عنها « فلم نعرفها الا من الرد عليها الذي كتبه الامام الزيدي القاسم بن ابراهيم العلوي المتوفى سنة ٢٤٦هـ ٨٦٠م(٥٤) .

٢ ـ يوحنا بن ماسويه ١٩٧ـ٢٤٣هـ ٨٠٩ـ٩٥٧م

من اوائل المترجمين في العصر العباسي، ورئيس بيت الحكمة ؛ ومن المعنيين عناية فائقة بالعلوم الفلسفية والطبية ؛ كما كان من الاطباء المشهورين في طب العيون .

كان ابوه ؛ وهو نسطوري ، يدق الادوية في مستشفى جنديسابور . واستطاع بفضل ممارسته وخبرته هذه، ان يعرف كثيرا من الامراض وعلاجها، رغم انه لم يكن يعرف الكتابة والقراءة . ولقد جاء ماسويه الى بغداد ، وحاول الاتصال بطبيب الخليفة الرشيد ، جبرائيل بن بختيشوع ؛ غير انه لم يفلح في ذلك ، بسبب كلام قيل انه صدر عنه في حق جبرائيل . وعندئذ اخذ ماسويه يبيع الادوية في صندوق يحمله معه ، ويجلس به عند باب الحرم في قصر « الفضل بن الربيع » وزير الرشيد . واستطاع ماسويه ان يشفي خادم « الفضل » من رمد اصاب عينها ، فاستانس به الفضل بن الربيع ؛ واجرى له في كل شهر ستمائة درهم ، وعلوفة دابتين ، ونزل خمسة غلمان، وامره ان يحمل عياله من جنديسابور ، واعطاه نفقة واسعة فحمل عياله و « يوحنا » حينئذ صبي صغير »(٥٥) .

(٥٢) نفس المصدر ص ٩٨ .
(٥٤) نفس المصدر ص ١٠١ .
(٥٥) ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ج٢ ص ١١٨ ـ ١١٩.

وقد ذكر ابن القفطي ، واعاده ابن ابي اصيبعة رواية عن جبرائيل بن بختيشوع يفهم منها ان ماسويه تزوج في بغداد جارية « داود بن سرافيون » انجبت له ولديه « يوحنا » و « ميخائيل » .

كذلك ذكر « ديلاسي اوليري » في كتابه « كيف انتقلت العلوم اليونانية الى العرب » ان يوحنا بن ماسويه تولى مدرسة جنديسابور ومستشفاها حين انتقل جبرائيل بن بختيشوع الى بغداد . على ان معظم الذين ترجموا ليوحنا يتفقون على انه قد تثقف في بغداد .

نشأ يوحنا ببغداد ، وبها نال تعليمه واشتهر بالطب وبالنقل من السريانية الى العربية حتى ذاع صيته ، فاتخذه الرشيد طبيبا خاصا له ، وقلده رئاسة بيت الحكمة ، وعهد اليه بالاشراف على الكتب التي جلبها من بلاد الروم .

وقد نال يوحنا الحظوة البالغة ليس لدى الرشيد حسب ، بل ولدى الخلفاء الذين اعقبوه ، وكان مجلسه في بغداد اعمر مجلس لمتطبب او متكلم او متفلسف ، لانه كان يجتمع فيه كل صنف من اصناف اهل الادب »(٥٦) ولم يقتصر عمله في بيت الحكمة على الرئاسة والاشراف حسب ، وانما كان يعمل في نقل الكتب وقد ترجم كثيرا منها(٥٧) .

وقد تتلمذ يوحنا على جبرائيل بن بختيشوع في اول الامر . ثم على يد « عيسى بن نون » الذي صار بطريركا للنساطرة سنة ٨٣٢م وكان يوحنا طبيبا فاضلا ، ومؤلفا بالسريانية والعربية ، ومتمكنا من الاغريقية ، وجاء الى بغداد باشارة من جبرائيل بن بختيشوع ، وقدم الى بلاط الرشيد باعتباره طبيبا حاذقا ، واحد الذين يشتغلون بالطب اليوناني(٥٨).

قال عنه « جمال الدين ابن القفطي » صاحب كتاب « تاريخ الحكماء » ، « كان يوحنا من اجل علماء عصره ، متضلعا في الترجمة ، عالما بالعلوم التي يقوم بترجمتها . كما كان يعقد مجلسا للنظر ؛ ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشان اتم عمارة ، ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة . واجتمع اليه اهل العلوم والادب وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون »(٥٩) .

(٥٧) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص ٥٥ .
(٥٦) ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ج٢ ص ١٢٢ .
(٥٨) ديلاسي اوليري : العلوم اليونانية وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٢٣ الترجمة العربية .
(٥٩) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

وكان الى جانب حذقه السريانية والعربية . والتأليف بهما ؛ متمكنا من استخدام الاغريقية(*) . كما انه كان من الذين اوفدوا الى بلاد الروم للبحث عن كتب العلوم اليونانية فيها(٦٠) .

لا مجال للتفريق بين الكتب التي تركها يوحنا ابن ماسويه ؛ وما اذا كانت موضوعة ام مترجمة . ذلك لان الذين ترجموا له لم يفعلوا ذلك ، ومنهم « ابن ابي اصيبعة » صاحب كتاب « طبقات الاطباء» الذي ذكر له اربعة واربعين مؤلفا(٦١) .

وقد ظفرت بعض كتب يوحنا بالشهرة الواسعة حتى في اوربا . ومن هذه المؤلفات ، كتابه عن « الحميات » الذي اشتهر زمنا طويلا ، وترجم الى اللاتينية والعبرية(٦٢) . ومن كتبه الشهيرة ايضا كتاب « دغل العين » في طب العيون الذي اهداه الى تلميذه حنين بن اسحق . وبلغ من شهرة هذا الكتاب انه كان من بين الكتب الطبية المقررة في الامتحان الذي اجراه الخليفة العباسي « القاهر » (٩٣٢ ـ ٩٣٤م) للحصول على اجازة الطب(٦٣) .

ويعد كتاب « دغل العين » اول كتاب في طب العيون يصل الينا . ذلك لان الكتب اليونانية والسريانية ، وما صنف باللغات الاخرى في هذا الفن ، قد ضاعت ، وتوجد مخطوطة كاملة من هذا الكتاب في مكتبة « احمد تيمور باشا » في القاهرة ، واخرى في مكتبة لنينغراد »(٦٤) .

وذكر « جرجي زيدان » في كتابه « المختصر في آداب اللغة العربية » ان ما بقي من كتب يوحنا ابن ماسويه هو :

١ ـ كتاب » نوادر الطب » وفيه ترجمة لاتينية وشروح .
٢ ـ جواهر الطب .
٣ ـ كتاب ماء الشعير .
٤ ـ كتاب الادوية المسهلة وغيرها .

بقي يوحنا بن ماسويه يخدم خلفاء بني العباس حتى عهد الخليفة « الواثق بالله » (٨٤٢ ـ ٨٤٧م)

(*) اوليري : الفكر العربي مكانته في التاريخ ص ١٢٦ الترجمة العربية .
(٦٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٢ .
(٦١) ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٦٢) اوليري : الفكر العربي ص ١٢٧ .
(٦٣) اوليري : كيف انتقلت علوم اليونان الى العرب ص ٢٢٤ الترجمة العربية .
(٦٤) اوليري : المصدر السابق .

وكان الواثق شغوفا به وقد اهداه في يوم واحد ثلثمائة الف درهم ... وذكر يوحنا عن نفسه انه اكتسب من صناعة الطب الف الف درهم ، وعاش بعد قوله هذا ؛ ثلاث سنين اخر(٦٥) .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه «بسر من راى» يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاث واربعين ومائتين في خلافة المتوكل(٦٦) .

× × ×

٢ ـ ثابت بن قرة الصابي

يعد ثابت بن قرة من اشهر المترجمين واكثرهم دقة ، وذلك بشهادة العلماء من غير العرب . فقد كان يحسن السريانية والعبرية ، واليونانية الى جانب العربية ، جيد النقل عن هذه اللغات ؛ الامر الذي جعل العالم الانكليزي « جورج سارطون » يعتبره من اعظم المترجمين ، واعظم من عرف في مدرسة « حران » في العالم العربي »(٦٧) .

ولد ثابت بن قرة بمدينة حران يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ٢١١هـ ٨٢٦م ونشأ على دين آبائه وهو الوثنية التي تحولت الى الصبئية(٦٨) وحين اصطدم مع رئيس كنيسة حران اصدر هذا الرئيس قرارا بحرمانه حوالي سنة ٢٥٩هـ ٨٧٢م وارسله الى « كفر توثا » بالقرب من « دارة »(٦٩) .

وبعد ان جال ثابت في بلاد كثيرة التقي باحد اولاد موسى بن شاكر وهو « محمد »(٧٠) عند انصرافه من بلاد الروم حيث كان يفتش فيها عن كتب الاغريق . وقد اعجب « محمد » بفصاحته فاصطحبه معه الى بغداد . وقيل ان محمد هذا قد قرا على ثابت ، وتعلم في داره ، وانه هو الذي اوصله بالخليفة المعتضد ، فادخله في جملة

(٦٥) ابن ابي اصيبعة : ج ٢ص ١٢٢ .
(٦٦) نفس المصدر السابق .
(٦٧) و (٦٨) قدري حافظ طوقان: العلوم عندالعرب ص١٢٧.
(٦٩) ذكر ابن النديم ص ٢٩٤ وابن القفطي ص ١١٥ ان ولادة ثابت كانت في سنة ٢٢١ هـ وذلك خطا لان ابن النديم قال عنه انه توفي في سنة ٢٨٨ هـ وعمره سبع وسبعون فيكون مولده الصحيح في سنة ٢١١ .
اوليري : علوم اليونان . ص ٢٣٨ وابن خلكان .
(٧٠) وقع الباحث العلامة المرحوم قدري حافظ طوقان واخرون فيه في خطا فاضح حين ذكروا ان الذي اتصل بثابت بن قرة هو محمد بن موسى الخوارزمي ، في حين ان الذي اتصل به في كفر توثا هو محمد بن موسى بن شاكر المنجم انظر ابن القفطي ص ١١٥ وابن اصيبعة ج ١ ص ١٩٢ واوليري علوم اليونان ص ٢٢٨ .

المنجمين عنده ، وذكر عن ثابت انه هو الذي ادخل رئاسة الصابئة الى العراق ، فنشبتت احوالهم ، وعلت مراتبهم ، وبرعوا(٧١) وقد اكرم المعتضد وفادته ، واجرى له معاشا شهريا قدره خمسمائة دينار ..... ويعد ثابت اعظم هندسي عربي على الاطلاق »(٧٢) .

وروى « ابن ابي اصيبعة » كيفية اتصال ثابت بن قرة بالخليفةالمعتضد بالله، فذكر انالخليفة « الموفق » حين غضب على ولده المعتضد ، أمر بحبسه في دار اسماعيل بن بلبل ، واوكل به «احمد» الحاجب . وقد طلب اسماعيل بن بلبل الى ثابت ان يدخل الى المعتضد في سجنه ليرفه عنه ، ففعل ذلك ، فانس المعتضد به ، اذ كان ثابت يدخل عليه ثلاث مرات في اليوم يحادثه ويسليه ، ويعرفه احوال الفلاسفة ، وامر الهيئة والنجوم وغير ذلك ، فشغف به ولطف منه محله(٧٣) .

ولما تولى المعتضد الخلافة سنة٢٧٩هـ ٨٩٢م زاد اهتمامه بثابت بن قرة واكرامه له ، فقربه اليه ، واقطعه ضياعا جليلة . وكان يجلسه بين يديه بحضرة العام والخاص . وقد حدث ذات مرة ان كان المعتضد يتمشى مع ثابت في « الفردوس » ـ وهو بستان في دار الخليفة ـ للرياضة فاتكأ على يد ثابت وهما يتمشيان ، فنثر الخليفة يده بشدة من يد ثابتوقال له « يا ابا الحسن سهوتووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب ان يكون ، فان العلماء يعلون ولا يعلون »(٧٤) .

وثابت بن قرة واحد من العلماء الموسوعيين لدى العرب والذين تعددت نواحي عبقريتهم . فقد نبغ في الطب ، وفي الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات(٧٥) . ولم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ، ولا في غيره منجميعاجزاء الفلسفة، وحسن التخرج والتمهر في العلوم(٧٦) وقد قطع شوطا بعيدا في الرياضيات وفي الفلك ، واضاف اليها ومهد في ايجاد اهم فرع من فروع الرياضيات هو التكامل والتفاضل(٧٧) .

(٧١) ابن القفطي ص ١١٥ وابن النديم ص ٢٩٤ وابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٩٣ .
(٧٢) البارون كارادي فو في « تراث الاسلام » ج١ ص ٢٤١ .
(٧٣) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٩٤ .
(٧٤) ذات المصدر ج ٢ ص ١٩٤ .
(٧٥) قدري حافظ طوقان : الخالدون العرب ص ٥٨ .
(٧٦) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٩٣ .
(٧٧) نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤ .

ولثابت بن قرة ارصاد حسان لشمس ، تولاها ببغداد ، وجمعها في كتاب بين فيه مذهبه في حركة الشمس(٧٨) . كما اشتغل في التحليلات الهندسية واجاد فيها اجادة عظيمة . وله ابتكارات سبق بها الفيلسوف والعالم الرياضي الفرنسي «ديكارت»(٧٩) .

وحل ثابت بعض المعادلات التكعيبية بطرق هندسية ، استعان بها بعض العلماء الغربيين في بحوثهمالرياضية خلالالقرن السادس عشر منامثال « كارودان » وغيره من كبار الرياضيين(٨٠) . واستخرج ثابت حركة الشمس ، وحسب طول السنة النجمية فكانت اكثر من حقيقتها بنصف دقيقة ليس الا . كما حسب دائرة البروج ، وقال بوجود حركتين ، مستقيمة ومتقهقرة لقطبي الاعتدال(٨١) .

والشيء المؤكد ان ثابت بن قرة هو الذي وضع دعوى « مثلاوس » حول استعمال الجيوب بدلا من الاوتار في شكلها الحاضر . وفضلا عن ذلك حل بعض المعادلات التكعيبية بالطرق الهندسية(٨٢) .

كان ثابت من الذين مهدوا السبيل لظهور علم التكامل والتفاضل ولهذا العلم شان خطير في الاختراع والاكتشاف ، فقد ذكر العالم الرياضي الانكليزي « سمث » في كتابه « تاريخ الرياضيات » يقول « يجدر بنا ان نذكر ثابت بن قرة الذي اوجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافيء حول محوره »(٨٣) .

ويظهر تفوق ثابت بن قرة في الطب ، بارزا من قصة القصاب الذي مات فجاة ، وكيف شرع اهله ينوحون عليه ، وكيف اسرعثابتاليه ، فعالجه وانقذه من موت محقق(٨٤) .

× × ×

وضع ثابت بن قرة ترجمات لعدد من كبار علماء الرياضيات والطب اليونانيين من امثال بولونيوس ، وارخميدس ، واقليدس ، وبطليموس ، وتيودوسيوس ، وجالينوس ، بالاضافة الى اصلاحه

(٧٨) قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .
(٧٩) نفس المصدر ص ١٢٨ .
(٨٠) المصدر السابق والخالدون العرب لطوقان .
(٨١) طوقان : العلوم عند العرب والخالدون العرب ، وعمر فروخ : عبقرية العرب ص ٥٢ .
(٨٢) قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي ص ٩٨ .
(٨٣) نفس المصدر ص ١٩٩ .
(٨٤) انظر القصة مفصلة في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٩٥ وابن القفطي تاريخ الحكماء ١٢١ .

كثيرا من الترجمات التي نقلت في زمانه . فالمشهور عنه انه اصلح الترجمة التي عملها حنين بن اسحق لكتاب « المجسطي » اصلاحا جيدا . ولم يكتف بذلك بل قام هو نفسه بترجمة المجسطي ترجمة جيدة ؛ واصلحه ، ووضعه ثم اختصر ذلك الكتاب اختصارا نافعا لم يوفق اليه احد غيره(٨٥) .

بلغت مؤلفات ثابت بن قرة في اللغة العربية بين موضوع ومترجم مائة وخمسين كتابا . وبالاضافة الى ذلك وضع باللغة السريانية ستة عشر كتابا في الهندسة والحساب ، والفلك ، والفيزيقي: وقد ذكر كل من ابن القفطي ، وابن ابي اصيبعة اسماء مؤلفات ثابت ، غير انهما لم يفصلا الكتب المترجمة منها عن الموضوعة .

فمما نقله عن جالينوس ، كتاب الادوية المفردة وكتاب المرة السوداء ، وكتاب سوء المزاج المختلف ، وكتاب الفصد ، وجوامع كتاب الامراض الحارة ، وجوامع كتاب الكثرة ، جوامع كتاب تشريح الرحم، جوامع كتاب المولودين لسبعة اشهر ، جوامع تشريف صناعة الطب ، تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الاهوية ، والمياه ، والبلدان ، اختصار كتاب النبض ، جوامع كتاب النبض ، جوامع كتاب النبض الكبير ، اختصار كتاب قوى الاغذية ، حيلة البرء ، اختصار كتاب ايام البحران ، اختصار كتاب الاسطقات ، جوامع كتاب الادوية النفسية ، جوامع كتاب الاعضاء الالمة ، وكتاب الكيموس .

كذلك ترجم ثابت بن قرة « الكتب السبعة الاولى » وهي ثمانية كتب من اجزاء المخروطات لانطونيوس(٨٦) .

ومما ترجمه عن بطليموس ـ بالاضافة الى كتاب المجسطي ـ كتاب وجه مسيرات القمر الدورية ؛ وجوامع المقالة الاولى كما ترجم رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط ، وجوامع كتاب نيقوماخوس في الارثماطيقي ؛ اي الحساب ، وكتاب بار ارمنياس وجوامع كتاب انالوطيقا لارسطو ؛ ونقل كتاب اقليدس في الهندسة واصلحه اصلاحين(٨٧).

وهناك ترجمات مختصرة ذكرها ابن القفطي فقال عنها «وله عدة مختصرات في النجوم والهندسة

(٨٥) ابن القفطي ص ١٢٠ .
(٨٦) يقول كارادي فو ان ثابت قد حفظ لنا ثلاثة كتب من مخروطات ابولونيوس ضاعت اصولها اليونانية انظر تراث الاسلام ج ١ ٢٤٣ الترجمة العربية .
(٨٧) ابن القفطي : ص ١١٩ .

رايتها بخطه مما عمله ثابت للفتيان ابقاهم الله ، واظنه يعني بهم اولاد محمد بن موسى بن شاكر ... واما نقله من لغة الى اخرى فكثير»(٨٨) .

ومما ترجمه ثابت ايضا كتاب«اثافرودبطوس» الذي فسر به كلام « ارسطو » عن الهالة وقوس قزح . وكذلك كتاب « النسبة المحدودة » لابولونيوس ، وشروح «اوطوقيوس » لمقالة ارخميدس في الكرة والاسطوانة ؛ وكتاب « اصول الهندسة » لمنلاوس ، وكتاب الجغرافيا وصفة الارض لبطليموس ، وكتاب « بيبس » الرومي عن تفسير كتاب بطليموس في تسطيح الكرة .

ضاعت كل مؤلفات ومترجمات ثابت بن قرة التي ناهزت المائتين ، ولم يبق منها في وقتنا الحاضر سوى قلة احصى منها بعض المتتبعين الكتب والرسائل التالية .

١ ـ كتاب الكرة والاسطوانة .
٢ ـ كتاب المأخوذات ، وكلاهما لارخميدس ويوجد الاول في مكتبة خراجي زادة ببروسه، والثاني في مكتبة فاتح باسطنبول ؛ ومنه نسخة في طهران .
٣ ـ كتاب المعطيات في مكتبة نور عثمانية .
٤ ـ كتاب الاصول في مكتبة فاتح .
٥ ـ عمل الدائرة المرسومة بسبعة اقسام متساوية وهذه الكتب الثلاثة من بعض ما ترجمه ثابت من كتب اقليدس وما ترجمه عن اوطولوقس بقي .
٦ ـ كتاب الكرة المتحركة وهو محفوظ بصورته الاصلية في مكتبة اياصوفيا باسطنبول .
٧ ـ كتاب في الطلوعات والغروبات منه نسخة في اياصوفيا واخرى في طوبقبوسراي باسطنبول.
٨ ـ كتاب في حكاية ما استخرجه القدماء من خطين بين خطين حتى يتوالى الاربعة متناسبة لاوطرقيوس ؛ منه نسخة في باريس .
٩ ـ المطالع ترجمه في الاصل حنين بن اسحق واصلحه ثابت وهو لابسقلاوس منه نسخة في باريس .
١٠ـ المخروطات لابولونيوس صححه اولاد موسى منه نسخة في مكتبة ليدن بهولندا .
١١ـ تسهيل المجسطي لبطليموس منه نسخة في

(٨٨) المصدر السابق .

مكتبـــة اياصوفيـا واخرى بخط عبري في مكتبة المتحف البريطاني .

١٢ـ في اقتصاص جمل حالات الكواكب المتحيره لبطليموس ايضا منه نسخة في المتحف البريطاني واخرى في ليدن .

١٣ـ تصحيح كتاب الطلوعات والغروبات لبطليموس كذلك ؛ منه نسخة في اياصوفيا واخرى في طوبقبوسراي .

١٤ـ باري ارمنياس لارسطو وبتهذيب نيقولاوس.

١٥ـ مقالة لارسطو لكتابه فيما بعد الطبيعة منه نسخة في مكتبة اياصوفيا .

١٦ـ جوامع لكتب جالينوس منها نسخة في اياصوفيا(١٨٨) .

اما الباقي من مؤلفات ثابت فقد احصاه « بروكلمان » على النحو التالي .

١ ـ كتاب الروضة في الطب منه نسخة في بودليان .

٢ ـ جوامع من كتاب جالينوس في الذبول منه نسخة في بودليان .

٣ ـ رسالة في تولد الحصاة عن حصاة المثانة والكلى في مكتبة برلين .

٤ ـ كتاب البيطرة في مكتبة كوبري منه نسخة .

٥ ، ٦ ـ كتابان في الفلك منهما نسختان في مكتبة الاسكوريال بمدريد .

٧ ـ كتاب الشكل والقطاع منه عدة نسخ في لندن وباريس ومدريد واسطنبول وغيرها .

٨ ـ كتاب المفروضات منه نسخ في القاهرة وباريس واسطنبول ولندن وفلورنس .

٩ ـ رسالة في الفرسطون : نظرية ميزان الذهب منها نسخ في برلين وبيروت والهند .

١٠ـ كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها منه نسخة في باريس .

١١ـ كتاب سنة الشمس والارصاد منه نسخة في الاسكوريال .

١٢ـ كتاب في تأليف النسب .

١٣ـ كتاب في مساحة المجسمات المكافئة . منه نسخ في اياصوفيا ، والقاهرة ، وباريس .

١٤ـ كتاب في مساحة قطع المخروط منه نسخ في باريس والقاهرة واياصوفيا .

١٥ـ كتاب في ان الخطين اذا خرجا على زاويتين قائمتين التقيا توجد منه نسخ في باريس ، واياصوفيا ، والقاهرة .

١٦ـ كتاب في الاعداد المتحابة منه نسخة في اياصوفيا .

١٧ـ رسالة في استخراج عمل المسائل الهندسية منه نسخة في باريس .

١٨ـ قسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية موجود في باريس .

١٩ـ المسائل التي سأل عنها علي بن احمد منه نسخة في المتحف البريطاني .

٢٠ـ كتاب في حساب رؤية الاهلة ، في المتحف البريطاني .

٢١ـ نيل المطلوب من المعاني الهندسية منه نسخ في القاهرة واياصوفيا .

٢٢ـ كتاب الروح لافلاطون منه نسخة في ميونيخ واخرى في ليدن .

٢٣ـ قطوع الاسطوانة منه نسخة في اياصوفيا واخرى في القاهرة .

٢٤ـ كتاب عن المثلث قائم الزاوية في الاسكوريال .

٢٥ـ حجة سقراط في المربع وقطره ، في اياصوفيا والقاهرة .

٢٦ـ كتاب في عمل شكل مجسم ذي ١٤ قاعدة في مكتبة كوبري .

٢٧ـ كتاب في الات الساعات (الرخامات) . مكتبة كوبري .

٢٨ـ كتاب في الكرة في الاسكوريال .

٢٩ـ كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكره بطليموس، مكتبة كوبري .

٣٠ـ كتاب ارتعاش النجوم الثابتة .

٣١ـ كتاب في حركة الفلك في باريس وفلورنس .

٣٢ـ في البياض الذي يظهر في البدن : اياصوفيا .

٣٣ـ مساحة الاشكال المسطحة والمجسمة : اياصوفيا .

٣٤ـ النسبة المؤلفة : طوبقبوسراي .

٣٥ـ ذكر الافلاك وخلقها : اياصوفيا .

٣٦ـ السبب في مؤخرة مياه البحر : طوبقبوسراي.

٣٧ـ كتاب في الهيئة : اياصوفيا(١٨٩) .

---

(١٨٨) بروكلمان تاريخ الادب العربي ج ٤ ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(١٨٩) المصدر السابق ص ١٨٣ ـ ١٨٧ .

وقد ذكر ابن القفطي ان ثابت بن قرة وضع كتابا كبيرا في الموسيقى يقع في خمسمائة ورقة(٩٠) كما عمل ارصادا فلكية في بغداد ، حول ارتفاع الشمس ، وطول السنة الشمسية .

وقد توفى ثابت بن قرة في السادس والعشرين من شهر صفر سنة ٢٨٨هـ الموافق ١٨ شباط ٩٠١م وكانت ولادته في حدود سنه ٢١١هـ ٨٢٤م .

حنين بن اسحق العبادي

١٩٤ ـ ٢٦٠هـ ٨٠٩ ـ ٨٧٢م

ولد حنين بن اسحق العبادي بالحيرة في عائلة مسيحية نسطورية النحلة . كان ابوه يبيع العقاقير في الحيرة ، وقد عمل حنين معه وهو فتى غير ان مطامحه التي كان يحلم بها لا يمكن ان يتسع لها حانوت صغير في بلدة صغيرة . فقد كانت بغداد مطمح انظاره ، ومحط اماله ، حتى لقد كان ، وهو في صغره ، يسأل رجال القوافل عن المسافة بين بغداد والحيرة .

وحدث ذات مرة ان تضرع الى مرشد احدى القوافل فقبل هذا بان ياخذه معه الى بغداد مقابل قنينة من مرهم الكافور، وقد وافق حنين على ذلك، وطار فرحا ، ولم تغمض له عين تلك الليلة من شدة الفرح»(٩٠) . وراح حنين يحضر مجلس ابن ماسويه رئيس بيت الحكمة ، وجعل يخدمه ويقرأ عليه(٩١) وقد اعجب ابن ماسويه بنباهة الفتى وذكائه ، وصار يعتمد عليه في تحضير بعض العقاقير امامه ، ويقرأ له كتاب « فرق الطب » الموسوم باللسان الرومي والسرياني « بهراسيس »(٩٢) .

كان اهل جنديسابور ومتطببوها بصفة خاصة يكرهون ان يدخل ابناء التجار في صناعة الطب وهذا ما كان يباعد حنينا عن ابن ماسويه ، وفضلا عن ذلك كان حنين كثير السؤال الامر الذي لم يحتمله ابن ماسويه . فقد حدث ان سأله حنين حين كان يقرأ عليه سؤالا في قضية « فحرد يوحنا وقال : ما لاهل الحيرة وتعلم الطب ؟ سر الى فلان قرابتك حتى يهب لك خمسين درهما تشتري منها قفافا صغيرة بدرهم ، وزرنيخا بثلاثة دراهم ، واشتر بالباقي فلوسا كوفية وقادسية ، وضع زرنيخ القادسية في تلك القفاف ، واقعد على الطريق ، وضع الفلوس الجيدة للصدقة والنفقة ، وبع الفلوس فانه اعود عليك من هذه الصناعة » ثم امر به فاخرج من داره ، فخرج حنين باكيا مكروبا »(٩٣) .

بعد تلك الحادثة مباشرة وطد حنين عزمه على ان يتقن صناعة الطب ، ويتعلمها بلغتها الاصلية وهي اليونانية ، ولذلك شد الرحال الى آسيا الصغرى لتعلم اللغة الاغريقية ، واتقان صناعة الطب ، حتى اذا ما اكمل هناك ثلاث سنوات ، عاد الى بغداد متخفيا في زي كاهن ، وقد اطلق شعر راسه ولحيته ، وراح يتردد على بيت « اسحق بن الخضي » وهو من الملمين باليونانية الماما جيدا ، حتى اكتشف امره يوسف بن ابراهيم الطبيب ، اذ سمعه ذات مرة يترنم باشعار هوميروس كبير شعراء الاغريق ، فعرفه من نغمته ، وقد اسر حنين الى يوسف هذا بان لا يفضح امره ، لانه يريد ان يحكم اللسان اليوناني قبل ان يتعلم الطب(٩٤) .

اتصل حنين بعد عودته الى بغداد باولاد موسى بن شاكر المنجم ، فعهدوا اليه بمهمة السفر الى بلاد الروم على نفقتهم الخاصة ، وجلب كل ما يعثر عليه من كتب اليونان في الفلسفة والفلك والرياضيات ، وقد سافر حنين الى بلاد كثيرة ووصل الى اقاصي بلاد الروم ، ثم عاد الى بغداد فامضى فيها فترة ، رحل بعدها الى البصرة حيث تعلم العربية على الخليل بن احمد . وكان حنين هو الذي ادخل كتاب « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي الى بغداد(٩٥) .

بعد ان اكمل حنين تمكنه من اللغة العربية اقبل على ترجمة الكتب اليونانية ، واتصل خلال وجوده في بغداد بجبرائيل بن بختيشوع . ويذكر يوسف بن ابراهيم الطبيب انه دخل يوما على جبرائيل فوجد عنده حنينا وقد ترجم له اقساما من كتب جالينوس في التشريح . وكان جبرائيل يخاطب حنينا بكلمة « المعلم » فاستعظم يوسف ما سمع وما رأى ، فرد عليه جبرائيل يقول « لا تستكثر ما ترى من تبجيلي هذا الفتى فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن «سرجيس» وكان جبرائيل يقصد بذلك سرجيس الراسعيني ، وهو اول من نقل علوم اليونان الى اللغة السريانية(٩٦) .

---

(٩٠) ابن القفطي ص ٨٣ .
(٩١) ابن القفطي ص ٨٤ .
(٩٢) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٢٩ .
(٩٣) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٤١ والقفطي ص ٨٤ .
(٩٤) ذكر ابن ابي اصيبعة نقلا عن سليمان بن جلجل ان حنينا تعلم لسان اليونانيين في الاسكندرية وهذا قول مشكوك فيه.
(٩٥) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٤٦ ـ ١٤١ .
(٩٦) المصدر ذاته ص ١٤١ .

ويستطرد « يوسف بن ابراهيم » في حكايته فيقول « وخرج حنين ، واقمت طويلا ، ثم خرجت فوجدت حنينا في الباب ينتظر خروجي ، فسلم علي وقال « قد كنت سألتك ستر خبري ، والان فانا اسالك اظهاره واظهار ما سمعت من ابي عيسى وقوله في . فقلت له « وانا مسود وجه يوحنا بما سمعت عن ابي عيسى لك » فاخرج من كمه نسخة مما كان دفعه الى جبرائيل وقال لي « تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك اليه هذه النسخة ، وستركه عنه علم من نقلها ، فاذا رايته قد اشتد عجبه بها ، اعلمه انه اخراجي » . ففعلت ذلك من يومي وقبل انتهائي الى منزلي .

فلما قرا يوحنا تلك الفصول ، وهي التي يسميها اليونانيون « الفاعلات » ، كثر تعجبه وقال: اترى المسيح اوحى في دهرنا هذا الى احد ؟ فقلت له في جواب قوله : ما اوحى في هذا الدهر ولا في غيره الى احد ، ولا كان المسيح الا احد من يوحى اليه » فقال « دعني من هذا القول . ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس ! » فقلت له « هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طردته من منزلك ، وامرته ان يشتري فلوسا » فحلف بان ما قلت له محال ، ثم صدق القول بعد ذلك ، وسالني التلطف لاصلاح ما بينهما ، ففعلت ذلك ، وافضل عليه افضالا كثيرا ، واحسن اليه ، ولم يزل مبجلا له ، حين فارقت العراق في سنة خمس وعشرين ومائتين(٩٧) .

ومنذ ذلك الوقت لازم حنين يوحنا بن ماسويه وتتلمذ له ، واشتغل عليه بصناعة الطب ، كما نقل له نقولا كثيرة وخاصة من كتب جالينوس ، بعضها الى السريانية وبعضها الى العربية (٩٨) .

ونظرا لما لمسه اولاد موسى بن شاكر من عبقرية حنين في ترجمة الكتب التي جلبها لهم من بلاد الروم وغيرها ، قدموه الى الخليفة المامون سنة ٨٢٨م باعتباره من خيرة المترجمين ولم يلبث المامون بعد ان ذاع صيت حنين ونبه ذكره ، ان اختاره رئيسا لبيت الحكمة ، واوكل اليه الاشراف على ترجمة كتب الطب والفلسفة والمنطق .

وكانت الدائرة التي يعمل بها حنين في بيت الحكمة واسعة ضمت عددا كبيرا من المترجمين الذين كانوا يعملون تحت امرته . فكان يختار لكل واحد من اولئك المترجمين نوع الكتب التي يترجمونها ، ثم يفتح ما استغلق عليهم من الفاظها ، ويصحح ما يجده في ترجماتهم من اخطاء . وكان من اولئك المترجمين ابن اخته حبيش بن الاعسم ، وموسى بن يحيى بن ابراهيم ، واصطفن بن باسيل ، وموسى بن خالد الترجمان ، ويحيى بن هارون ، وغيرهم(٩٩) .

وذكر جرجي زيدان ان الحجاج بن مطر ، وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة قد عملوا تحت امرة حنين ليصلح ما يترجمونه »(١٠٠) .

وكذلك نبه ذكر حنين في الطب الى جانب نبوغه في الترجمة ولذلك اختاره الخليفة المتوكل طبيبا خاصا له ، بعد ان امتحنه امتحانا عصيبا اذاقه فيه سوء العذاب ، ذلك لان المتوكل كان يخشى ان يكون حنين مدسوسا عليه من ملك الروم. وقد سرد كل من ابن ابي اصيبعة ، وابن جلجل ، والقفطي ، ذلك الامتحان في مؤلفاتهم . وخلاصة ما ذكره هؤلاء هو ان المتوكل بعد ان اقطع حنينا اقطاعا يدر عليه خمسين الف درهم في السنة ، طلب اليه بان يهيء له دواء يقتل به الاعداء ، فرفض حنين ذلك الطلب فامر المتوكل بالقائه في السجن ، فمكث فيه سنة كاملة كان خلالها ينقل ، ويفسر ، ويصنف ، وهو غير مكترث بما هو فيه(١٠١) .

وبعد انقضاء السنة اخرجه المتوكل من السجن واحضره امامه ، واحضر اموالا طائلة يرغبه فيها ، كما احضر سيفا ونطعا وسائر ادوات العقوبات . وخيره بين ان يقبل بطلبه فيهبه تلك الاموال ، وبين ان يرفض فيقتله . فاصر حنين على الرفض ، واذ ذاك ابتسم المتوكل وقال « يا حنين طب نفسا وثق بنا . فهذا الفعل منا كان لامتحانك ، لانا حذرنا من كيد الملوك ، واعجبنا بك ، فاردنا الطمانينة اليك ، والثقة بك ، لننتفع بعلمك(١٠٢) .

وحين ساله المتوكل عما منعه من تلبية طلبه، اجاب حنين يقول « منعني شيئان يا امير المؤمنين هما الدين والصناعة . فالدين يامرنا باستعمال الخير والجميل مع اعدائنا فكيف ظنك بالاصدقاء ؟ والصناعة تمنعنا من الاضرار بابناء الجنس ، فانها موضوعة لنفعهم ، مقصورة على معالجتهم . ومع هذا فقد حصل في رقاب الاطباء عهد مؤكد بايمان

(٩٧) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤١ ـ ١٤٢ .
(٩٨) المصدر السابق .
(٩٩) ابن القفطي ص ١٧١ .
(١٠٠) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٦٢ .
(١٠١) ابن ابي اصيبعة : ج ٢ ص ١٤٤ .
(١٠٢) ذات المصدر ص ١٤٥ .

مغلظة بان لا يعطوا دواء قتالا . فلم ار ان اخالف هذين الامرين الشريفين »(١٠٣) .

× × ×

خلف حنين بن اسحق وراءه ثروة فكرية هائلة تمثلت في مترجماته التي بلغت مائتين وستين كتابا ، وفي مؤلفاته التي وصلت نحو مائة وخمسة عشر كتابا(١٠٤) كما تمثلت في العدد الوفير من الرجال الذين تتلمذوا على يديه وقد بلغ عددهم حوالي تسعين تلميذا »(١٠٥) .

ونظرا للمكانة الرفيعة التي كان يحتلها حنين في دنيا الفكر والعلوم ، فان الكثيرين من تلامذته ترجموا بعض الكتب ووضعوا اسمه عليها ترويجا لها . ولذلك توجد عدة كتب منحولة له .

ترجم حنين كل مؤلفات جالينوس في الطب والفلسفة بالاضافة الى مؤلفات اخرى لابقراط ، واوريباسوس ، وبولس الاجانيطي ، ودسقوريدس وافلاطون ، وارسطو ، والاسكندر الافرودبسي وغيرهم .

نقل حنين مائة كتاب من مؤلفات جالينوس الى اللغة السريانية ، وتسعة وثلاثين كتابا آخر الى اللغة العربية . والى حنين وحده يرجع الفضل في تبوء جالينوس اسمى مقام في الشرق خلال العصور الوسطى ، وفي الغرب الوسيط بصفة غير مباشرة »(١٠٦) .

ولم يقف حنين عند كتب جالينوس وحدها ، بل نقل ايضا الى اللغتين السريانية والعربية ، كل الشروح التي وضعها جالينوس على مؤلفات ابقراط وافرد حنين كتابا في تعداد ما ترجمه من مؤلفات جالينوس . وهذا الكتاب عبارة عن رسائل بعث بها حنين في سنة ٨٦٥م الى « علي بن يحيى » المشهور بابن المنجم ، احد المولعين بالترجمة ، وصاحب مكتبة ضخمة وشهيرة في بغداد ، وقد عثر المستشرق الالماني « بوغشتراسر » على هذه الرسائل في مخطوطتين بمسجد « ايا صوفيا » فترجمها الى الالمانية ونشرها في « لايبزغ » سنة ١٩٢٥(١٠٧) .

كانت تقول حنين عن « ارسطو » كثيرة .

(١٠٢) نفس المصدر السابق .
(١٠٤) احمد سوسه : الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ج ١ ص ١١٨ .
(١٠٥) تراث الاسلام ج ١ ص ١٧٧ .
(١٠٦) نفس المصدر السابق ص ١٧٥ .
(١٠٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤ .

فقد نقل عنه كتاب « فاطيغورياس » اي «المقولات» كما ترجم مختصر هذا الكتاب وترجم «بارارمنياس» اي « العبارة » الى السريانية ونقل جزءا من كتاب « انالوطيقيا » اي « القياس » الى السريانية ايضا ؛ واصلح الترجمة العربية التي وضعها له «ثيادورس» كما ترجم كتاب « طوبيقا » اي « الجدل » الى السريانية وشروح كل من امونيوس والاسكندر الافرودبسي لهذا الكتاب . وترجم المقالة الثانية من كتاب « السماع الطبيعي » الى السريانية ؛ واصلح ترجمة ابن البطريق لكتاب «السماء والعالم» وترجم بعضا من شرح ثامسطيوس لهذا الكتاب ؛ ونقل كتاب « الكون والفساد » الى السريانية .

وترجم الى السريانية ايضا كتاب «الحروف» اي الالهيات وعددا من شروح ثامسطيوس لهذا الكتاب ، وتفسير فرفوريوس لكتاب ارسطو في الاخلاق(١٠٨) .

وعن افلاطون ترجم حنين كتاب «النواميس» وكتاب طيماوس في ثلاث مقالات . وكتاب الجمهورية وكتاب السياسة وكتاب القوانين . ويقول الدكتور احمد شلبي ان حنينا ترجم كتب اقليدس الى العربية(١٠٩) .

وكان حنين شديد التمحيص والتدقيق في اعمال الترجمة ، لا يكتفي بالاعتماد على نص واحد. وكان يكرر قوله « وددت دوما لو كانت لدي ثلاث نسخ يونانية من كل كتاب النقلة ، ليتسنى لي ان اقابل فيما بينها واستخرج الاصل الصحيح منها »(١١٠) .

وكان حنين من المجدين في طلب العلم والبحث عن نوادر كتب الطب والفلسفة والمنطق ، قام باسفار ورحلات واسعة في اسيا الصغرى واليونان وفارس والشام وفلسطين ومصر ، لتعلم اللغتين اليونانية والفارسية ، وللتنقيب عن كتب العلوم في تلك الاقطار .

ومما رواه عن نفسه في هذا الصدد انه احتاج ذات مرة الى نسخة من كتاب «البرهان» لجالينوس فراح يبحث عنه بنفسه في عدد من البلدان «وطلبته انا ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر الى ان بلغت الاسكندرية : فلم اجد منه شيئا الا بدمشق نحوا من نصفه »(١١١) .

(١٠٨) تراث الاسلام ج ١ ص ١٧٦ .
(١٠٩) احمد شلبي : الفكر الاسلامي ص ٤٤ .
(١١٠) ابن النديم : ص ٣٥٨ .
(١١١) ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

ويظهر فضل حنين على التراث الفكـــري اليوناني بارزا ، اذا ما علمنا بان سبعة من كتب جالينوس في علم التشريح قد ضاعت اصولهـــا اليونانية ، ولكن ترجمة حنين هي التي حفظت هذه الكتب واعادتها الى الظهور(١١٢) .

والى حنين ايضا يعزى الفضل في وضـــع المنهج الكامل لمدرســـة الاسكندرية الطبيـــة في متناول الطلاب العرب ؛ وكان هذا المنهج يشمل طائفة مختارة من مقالات جالينوس وهي الكتب التي عرفت لدى المؤلفين العرب باســـم كتب جالينوس الست عشرة(١١٣) . وكانت بعض هـــذه الكتب قد ترجمت ، قبل حنين ، الى السريانيـــة والعربية على يد بعض المترجمين من امثال سرجيس الراسعيني ، وموسى بن خالد الترجمان وغيرهما ، الا ان الترجمة الدقيقة الصائبة هي ترجمة حنين وحدها . ويقول ابن ابي اصيبعة عن مترجمـــات حنين من كتب جالينوس « وغالب الامر لا يوجـد شيء من كتب جالينوس الا وهي بنقل حنين او باصلاحه لما نقل غيره »(١١٤) .

× × ×

كانت نهاية حنين مفجعة ، مثل نهاية غيره من المفكرين وذوي العقيدة الثابتة في كل الازمان . فقد دفعت الغيرة منه ، حساده الى الوشاية به وايغال صدر الخليفة المتوكل عليه ، وكان على راس اولئك الحساد بختيشوع بن جبرائيل ، واسرائيل بن زكريا الطيفوري وهما من النساطرة ايضا .

لقد لفق الطيفوري حكاية مفادها ان حنينا لم يبصق على صور الذين صلبوا السيد المسيح ، الامر الذي اثار غضب الجاثليق رئيس الكنيســـة الشرقية فلعن حنينا بحضرة الملا من النصـــارى سبعين لعنة ، وقطع زناره ، وامر المتوكل ان لا يصل اليه دواء من قبل حنين حتى يشرف على عملـــه الطيفوري . وانصرف حنين الى داره فمات من ليلته »(١١٥) .

لم يمت حنين من ليلته تلك كما ذكر ذلك خطا ابن ابي اصيبعة . لان المتوكل امر بالقائه في السجن وصادر املاكه وفيها مكتبته . وقد سرد حنـــين

(١١٢) تراث الاسلام ج ١ ١٧٧ .
(١١٣) اولري : علوم اليونان وسجل انتقالها الى العرب ص ٢٢٨ .
(١١٤) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٤٦ .
(١١٥) نفس المصدر ص ١٤٨ .

نكبته تلك في رسالة نقلها ابن ابي اصيبعة وفي هذه الرسالة يقول حنين ان المتوكل « احضر السوط والحبال ، وامر بي فشـــددت مجـــردا بين يديه ، وضربت مائة سوط ، وامر باعتقالي والتضييق علي . ووجه فحمل جميع ما كان لي من رحـــل واثاث وكتب وما شاكل ذلك ، وامر بنقض منازلي الى الماء ، واقمت داخل داره معتقلا ستة اشهـــر في اسوا ما يكون من الحال ، حتى صرت رحمة لمن رآني . وكان ايضا في كل يسير من الايام يوجه من يضربني ويجدد لي العذاب »(١١٦) .

غير ان الخليفة اطلق سراح حنين فيما بعد ، ورد اليه امواله ، وافرد له ثلاثة دور ، واطلـــق الفائت له من رزقه ، وخصص له خمسة عشر الف درهم في الشهر الواحد ؛ كما فرض غرامة على الذين رشوا به زادت عن مائتي الف درهم(١١٧) وعاش حنين بعد تلك النكبة عشرين سنة اخرى ، حتى توفي ـ باتفاق معظم المؤرخين ـ يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ٢٦٠هـ ٨٧٣م .

لم نشا ان نذكر بالتفصيل مترجمات ومصنفات حنين بن اسحق وذلك لكثرتها كما اننا لم نرد ان نذكر ما بقي من تلك المترجمات والمصنفات . فقد تكفل المستشرق الالماني المعروف «بروكلمان» بسرد كل ما عثر عليه من اثار حنين في مختلف اقطـــار العالم وذلك في الجزء الرابع من كتـــابه « تاريخ الادب العربي » فليرجع اليه من اراد الافاضة في ذلك .

٤ ـ قسطا بن لوقا البعلبكي
٢٠٥ ـ ٣٠٠هـ ٨٢٠ ـ ٩١٢م

ولد قسطا بن لوقا بمدينة بعلبك في لبنان وهو من سلالة يونانية مسيحية(١١٨) وقد نبغ في علوم كثيرة . فهو الى جانب حذقه اللغات اليونانيـــة والسريانية والكلدانية والعربية ، وجودة النقـــل عنها ؛ كان فيلسوفا وطبيبا ورياضيا وفيزيائيا ، مشهور التحقيق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية والموسيقى(١١٩) .

وكان ابن النديم يفضله على حنين بن اسحق لانه « كان بارعا في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة

(١١٦) ابن ابي اصيبعة ج٢ ص ١٤٩ ـ ١٥٨ .
(١١٧) نفس المصدر .
(١١٨) صاعد الاندلسي ص ٢٤٢ ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤٤ هنري كوربان تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٥٩ وغيرهم .
(١١٩) ابن النديم ص ٢٤٤ .

وانهندسة والاعداد والموسيقى ، لا مطعون عليه ، فصيحا باللغة اليونانية ، جيد العبارة بالعربية(١٢٠) ولذلك كان قسطا يشرف في ايام المأمون على قسم الترجمة من اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية ، كما كان من المبرزين الذين عملوا في بيت الحكمة(١٢١) .

ويبدو ان شهرة قسطا قد ذاعت بعد ان رحل الى بلاد الروم وحصل على شيء كثير من تصانيفهم حتى اذا عاد الى مستقره استدعاه الخليفة المأمون، واوكل اليه امر الاشراف على ترجمة الكتب اليونانية والسريانية وغيرهما في بيت الحكمة . فكان «يترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونان الى اللسان العربي(١٢٢) .

وكان قسطا ذائع الصيت واسع المعرفة في العالم العربي الاسلامي ، وعالم الفرنجة لما كان يتحلى به من سعة المعرفة(١٢٣) ولذلك قال عنه « ابو الفرج الملطي » ، « لو قلت حقا لقلت انه افضل من صنف كتابا بما احتوى عليه من العلوم والفضائل ، وما رزق من الاختصار للالفاظ وجمع المعاني »(١٢٤) .

برع قسطا في الجغرافية والفلك وعلم الرصد . وكان من اوائل العلماء العرب الذين بحثوا في تاثير الطبيعة ، من حرارة ، وامطار ، وبحار ، وجبال وسهول ، على عادات الانسان ونشاطه الاقتصادي بل حتى على لون بشرته ، كما هو مدون في كتابه المعروف « العلة في اسوداد الاحباش »(١٢٥) .

وقد اعتبره المستشرق الفرنسي « هنري كوربان » من علماء النفس فقال عنه « وكذلك بعض ابحاثه في العلوم الخفية حيث تشبه شروحاته ، بشكل مثير ، ابحاث علماء النفس في ايامنا هذه(١٢٦).

ويبدو لنا ان كل ما كان يتمتع به قسطا من شهرة ، ويظفر به من مكافاة وتقدير ، لم يكن بتناسب مع سعة علمه وفضله . ولذلك فضل ان يهجر العراق الى ارمينيا ليعيش فيها بقية حياته، وليموت هناك ويدفن فيها . والظاهر ان اضطراب الاحوال في العراق بعد اغتيال المتوكل كان هو الدافع الاول لذلك النزوح عن العراق .

وقد ذكر كل من ابن القفطي ، وابن ابي اصيبعة ، ان شخصا يدعى « سنحاريب » ـ ولا نعرف من امره شيئا سوى اسمه هذا ـ هو الذي حبب لقسطا القدوم الى ارمينيا وكان فيها آنذاك مولى الخليفة المعروف باسم « ابو الغطريف البطريق » وهو من اهل العلم والفضل ، فحمل اليه قسطا كتبا كثيرة جليلة في اصناف من العلوم »(١٢٧) .

ولم يورد المؤرخون الذين كتبوا عن قسطا اسم المدينة التي استقر فيها ومات في ارمينيا ؛ وانما اكتفوا بالقول انه ارتحل الى ارمينيا ، وبها مات ودفن ، وبنيت على قبره قبة ، واكرم قبره كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع(١٢٨) .

كذلك لم يفرق المؤرخون بين الكتب المترجمة وتلك التي وضعها قسطا . فابن النديم مثلا لم يذكر من كتبه المترجمة سوى كتاب « السماع الطبيعي » لارسطو ، وكتاب « اصول الهندسة » لافلاطون ، وكتاب الاراء الطبيعية لفلوطرخس ، وتفسير الاسكندر الافروديسي لكتاب ارسطو عن الكون والفساد » علما بان قسطا ترجم لطائفة كبيرة من اطباء اليونان وعلمائهم من امثال ايرن وجالينوس ، وافليدس ، وثيوفراسطوس ، وفيلوبونيوس ، وتيودوس وغيرهم ، كما ورد ذلك في بعض الكتب الحديثة من امثال تراث العرب العلمي لقدري حافظ طوقان ، وتاريخ الفلسفة الاسلامية لهنري كوربان ، وسبل انتقال العلوم اليونانية الى العرب لديلاسي اوليري وغيرها .

والمتفق عليه لدى المؤرخين القدامى ان قسطا وضع اكثر من مائة كتاب ورسالة ، وانه بقي يواصل الترجمة والتاليف حتى بعد ان انتقل الى ارمينيا حيث ذكر ابن ابي اصيبعة ان قسطا الف كتبا كثيرة للغطريف البطريق(١٢٩) ومن بين هذه الكتب ثبت بالمؤلفات التي ترجمها عن اليونانية او التي صنفها بنفسه .

فمن مؤلفاته الطبية اوجاع النفوس ، الروائح وعللها ، احوال الباه ، المدخل الى علم الطب ، القوة والضعف ، الاغذية ، النبض ، الحميات ،

---

(١٢٠) الجغرافيون العرب محمد صبري حسن ج ١ ص ١٢٢ .
(١٢١) ابن القفطي ص ٢٦٢ .
(١٢٢) ابن القفطي ص ٢٦٢ .
(١٢٣) محمد صبري حسن . الجغرافيون . ج ١ ص ١٢٢ .
(١٢٤) جرجي زيدان التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٦٥ .
(١٢٥) محمد صبري حسن ج ١ ص ١٢٢ .
(١٢٦) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٥٨ ـ ٥٩ ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي .

(١٢٧) ابن القفطي ص ١٦٢ .
(١٢٨) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤٥ وابن القفطي ص ١٦٣ .
(١٢٩) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

الخدر ، الامراض الحادة ، الكبد ، تدبير الابدان بالسموم ، تولد الشعر ، حركة الشريان ، الدم ، الصفراء ، السوداء ، الفصد وغيرها .

ومن كتبه في الفلسفة والرياضيات كتاب « برقنطس » في المسائل القدرية ، استخراج مسائل عددية من مقالة اقليدس ، كتاب شكل الكرة والاسطوانة ، الهيئة وتركيب الافلاك ، كتاب حساب الثلاثي في الجبر والمقابلة ؛ كتاب العمل بالكرة النجومية كتاب الاوزان والمكاييل ، الالة التي ترسم عليها الجوامع ، كتاب المدخل الى الهندسة

ومن كتبه المترجمة والموضوعة في الحيل والميكانيك ، كتاب المرايا المحرقة ، وكتاب الفرسطون وعدة كتب في عمل الاسطرلاب وفي الارصاد الفلكية، وكتاب الفلاحة اليونانية .

اما كتبه ومترجماته في الفلسفة والمنطق فمنها كتاب المدخل الى المنطق ، شرح مذاهب اليونانيين الفصل في بيان النفس والروح ، كتاب الجزء الذي لا يتجزأ ، كتاب النوم والرؤيا ، المدخل الى كتاب « ايساغوجي » مسائل في الحدود على راي الفلاسفة وغيرها .

بقي عدد من مؤلفات ومترجمات قسطا في عدد من المكتبات في العالم وقد ترجم العديد منها الى عدة لغات عالمية . فرسالته الفلسفية المعنونة « الفرق بين النفس والروح » قد ترجمت الى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر على يد يوحنا الاسباني ، كما نشر نصها العربي الاب لويس شيخو في مجلته « المشرق » سنة ١٩١١(١٢٠) .

وقد احصى بروكلمان طائفة من كتبه الموجودة في المكتبات العالمية منها .

١ ــ رسالة في اختلاف الناس في سيرهم واخلاقهم منها نسخة في برلين .

٢ ــ رسالة في السهر واسباب الارق الفها لابي الغطريف منها نسخة في مكتبة برلين .

٣ ــ في تدبير الابدان للسفر للسلامة من المرض والخطر . الفه لابي محمد الحسن بن مخلد . منه نسخة في المتحف البريطاني .

٤ ــ كتاب في البلغم وعلله الفه لابي الغطريف الفصل الاول منه موجود في ميونيخ .

٥ ــ كتاب في علل الشعر الفه لابن مخلد موجود في المتحف البريطاني .

٦ ــ رسالة في العمل بالكرة ذات الكرسي منها نسخ في برلين والمتحف البريطاني وباريس .

٧ ــ كتاب العمل بالاسطرلاب الكري منه نسخة في ليدن واخرى في طوبقبوسراي باسطنبول .

٨ ــ رسالة في الكرة الفلكية موجودة في برلين ولندن وأياصوفيا .

٩ ــ كتاب العمل بالكرة الفلكية موجودة في بودليان .

١٠ــ كتاب البرهان على عمل حساب الخطاين منه نسخة في المكتب الهندي .

١١ــ هيئة الافلاك منه نسخة في بودليان .

١٢ــ رد قسطا على « ابن المنجم » في مكتبة عيسى اسكندر المعلوف بدمشق .

١٣ــ كتاب الوباء في مكتبة بنكيهور .

١٤ــ كتاب في الادوية المسهلة في ايا صوفيا .

١٥ــ كتاب في المياه في اياصوفيا .

١٦ــ كتاب في علة طول العمر وقصره ، اياصوفيا .

١٧ــ كتاب في الفرس منه نسخة في اياصوفيا .

١٨ــ كتاب في ذكر اصلاح الادوية المسهلة ، اياصوفيا .

١٩ــ كتاب في صفة الجدري واسبابه ؛ ايا صوفيا.

٢٠ــ في الوزن والكيل منه نسخة في اياصوفيا .

ومن كتبه المترجمة الموجودة في الوقت الحاضر ما يلي

١ ــ كتاب الاصول لاقليدس في مكتبة اوبسالا وفي مكتبة جامع فاتح باسطنبول .

٢ ــ كتاب المطالع لابسقلاوس . منه نسخة في برلين واخرى في مشهد بايران .

٣ ــ كتاب الاكر لثيودوسيوس ، منه نسخة في برلين ؛ وكمبردج ولننغراد واسطنبول وغيرها .

٤ ــ كتاب المساكن لثيودوسيوس في طبقبوسراي.

٥ ــ كتاب الايام والليالي لثيودوسيوس في برلين واسطنبول .

٦ ــ كتاب شيل الاثقال لايرن . ليدن والقاهرة واياصوفيا .

٧ ــ كتاب الطلوع والغروب لاطراوقس في ليدن .

٨ ــ فهرس مصنفات جالينوس في مدريد واسطنبول .

---

(١٢٠) دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ترجمة ابو ريدة ص ٢٤ .

والملاحظ ان عددا كبيرا من مؤلفات قسطا ومترجماته قد ترجمت الى لغات عديدة في القرنين التاسع عشر والثامن عشر بصفة خاصة ، ومنها اللاتينية والعبرية والفرنسية والانكليزية والالمانية(١٢١) .

٥ ـ يحيى بن عدي التكريتي
توفي سنة ٣٦٤هـ ـ ٩٧٣م

ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي . ولد في تكريت وكان نصرانيا يعقوبي المذهب ، ومن اصحاب عقيدة « الطبيعة الواحدة » وهؤلاء يعتقدون ان للمسيح طبيعة واحدة . ولذلك اقر المؤتمر الذي عقده «فلافيان» بطريرك الاستانة في « خلقدونية » مقاومة عقيدة الطبيعة الواحدة . وكان نصارى تكريت في مقدمة الذين عاضدوا هذه العقيدة ، وتحمسوا لنشرها ، حيث اصبحت تكريت مقرا لهم ، واصبح الاسقف «ماروثا» في سنة٦٢٩م يلقب باسم « مفريان » تكريت ، وكان يراس اثنى عشر اسقفا(١٣٢) .

وبعد ان تلقى يحيى علومه الاولية في تكريت انتقل الى بغداد فاشتغل مترجما في بيت الحكمة ، وتعرف في الوقت ذاته على ابي بشر متى بن يونس ـ وهو من كبار مترجمي بيت الحكمة ـ وتتلمذ على يديه ، ثم اوصل بالفيلسوف الكبير ابي نصر الفارابي فدرس عليه المنطق والفلسفة ، ونبغ في هذين العلمين نبوغا عظيما اكسبه لقب « المنطقي » في زمانه ، حتى قال عنه ابن النديم ، وابن القفطي بانه انتهت اليه رئاسة اهل المنطق في زمانه(١٣٣) .

كان يحيى يحذق اللغتين السريانية والعربية ، ويجيد النقل عنهما ، وربما عرف اللغة اليونانية ايضا . ولكن الشيء الذي اشتهر به هو نقله عن السريانية الى العربية في بيت الحكمة . كما انه كان يقوم بتصحيح ما يقوم به غيره من مترجمات ، وذلك لسمة اطلاعه على علوم الفلسفة والمنطق . وهذا ما جعل بعض المستشرقين يعدونه في جملة الفلاسفة ومن هؤلاء المستشرق « ادم متز » صاحب كتاب « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » الذي قال عنه بانه « كان من اكبر فلاسفة القرن الرابع الهجري »(١٣٤) .

ولا غرو في ذلك فقد تتلمذ يحيى على الفارابي ولازمه زمنا اثناء وجوده في بغداد ، واطلع على الكثير من آرائه ومؤلفاته ، بالاضافة الى ما اطلع عليه من الكتب الاخرى التي توفرت له في بيت الحكمة عن الفلسفة والمنطق .

كان يحيى منهمكا في عمله اشد انهماك ، جم النشاط في اعمال الترجمة والتاليف ، منقطعا اليهما فكان يمضي جل اوقاته اما في الترجمة او التاليف او التصحيح والنسخ ايضا وقد تحدث ابن النديم عن يحيى ، وكان معاصرا له وذا معرفة وعلاقة قوية به ، فقال « قال لي يوما في الوراقين ، وقد عاتبته على كثرة نسخه فقال : من اي شيء تعجب في هذا الوقت ؟ من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من تفسير الطبري(١٣٥) وحملتهما الى ملوك الاطراف »(١٣٦) وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولمهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقل(١٣٧) .

ولم يقف نشاط يحيى بن عدي عند الفلسفة والمنطق حسب ، بل اشتغل بالعلوم الرياضية ايضا كما اعتبره ابن ابي اصيبعة من الاطباء وادخله في كتابه الشهير « طبقات الاطباء »(١٣٨) .

كان يحيى في وقته من اشهر المترجمين ، وقد اعاد النظر في العديد من الترجمات التي تمت قبله، واجرى عليها التصويبات اللازمة ، كما قام بعدة ترجمات جديدة لبعض الكتب الهامة(١٣٩) .

عكف يحيى على ترجمة ومراجعة كثير من الترجمات لكتب ارسطو ، وافلاطون والاسكندر الافروديسي ، وثيوفراسطوس ، وامونيوس ، وفرفوريوس واتافروديطوس وغيرهم ، فقد ترجم من كتب افلاطون كتاب النواميس ، وكتاب طيماوس وكتاب سوفسطس وكتاب المناسبات(١٤٠) .

وعن ارسطو نقل يحيى كتاب طوبيقا . كما

---

(١٣١) بروكلمان تاريخ الادب العربي الجزء الرابع الصفحات ٩٨ ـ ١٠٢ .
(١٣٢) ديلاسي اوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٦٠ .
(١٣٣) ابن النديم ص ٢٨٢ وابن القفطي ٢٦١ .
(١٣٤) ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبدالهادي ابي ريدة ج ١ ص ٢٤٢ .
(١٣٥) يقصد به تفسير القران الكريم للطبري وهو من خيرة التفاسير .
(١٣٦) ابن النديم ص ٢٨٢ .
(١٣٧) نفس المصدر .
(١٣٨) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢٢٧ .
(١٣٩) احمد شلبي : الفكر الاسلامي ص ٤٦ .
(١٤٠) ابن النديم ٢٨٢ .

تُرجم تفسيرات هذا الكتاب التي وضعها كل من الاسكندر الافروديسي ، وامونيوس . ويقع هذا التفسير في الف ورقة(١٤١) .

ومن كتب ارسطو ايضا ترجم كتاب سوفسطيقا من السرياني الى العربي ، وترجم له كتاب ايوطيقا ، ونقل بعض مقالات كتاب السماع الطبيعي ، كما ترجم تفسير ثامسطيوس لكتاب ارسطو عن السماء والعالم ، واصلح ترجمة متى بن يونس لكتاب الكون والفساد وترجم كتاب طوبيقا ووضع تفسيرا له ، وترجم شرح الاسكندر الافروديسي لكتاب ارسطو عن الآثار العلوية ، ومختصر نيقولاووس لكتاب الحيوان وترجم كتاب الالهيات المعروف بالحروف كما ترجم كتاب « ما بعد الطبيعة » الذي وضعه ثاوفرسطس احد تلامذة ارسطو .

وفي مجال العلوم الرياضية وضع يحيى بن عدي عدة كتب ورسائل منها كتاب « ان القطر غير مشارك للضلع » ، وكتاب « ان العدد غير متناه » ، وكتاب « ان كل متصل ينقسم الى متصل » ، وكتاب « في استخراج العدد المنضم » وغيرها(١٤٢).

وقد ذكر له ابن القفطي زهاء اربعين كتابا ورسالة عدد اسماءها ، في حين ذكر له ابن ابسي اصيبعة سبعة كتب ، وابن النديم ستة كتب ، وذلك بالاضافة الى ذكر الكثير من ترجماته وتفاسيره لكتب جالينوس ، وارسطو ، وافلاطون وغيرهم .

وقد اشتهر عن يحيى بن عدي انه كان حسن الحظ ، وفي غاية الجودة والصحة . وقد توفي يحيى ببغداد يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٤هـ وكان عمره احدى وثمانين سنة ، ودفن في بيعة « مار توما » بقطيعة الدقيق في بغداد(١٤٣) .

وذكر ابن ابي اصيبعة نقلا عن الامير بشر بن فاتك ما سمعه عن ابي الحسين المعروف بابن الامدي انه سمع من ابي علي اسحق بن زرعة ـ وهو من المترجمين ايضا ـ ان « ابا زكريا يحيى بن عدي وصى اليه ان يكتب على قبره حين حضرته الوفاة ، وهو في بيعة « مار توما » بقطيعة الدقيق هذين البيتين(١٤٤) .

رب ميت قد صار بالعلم حيـــا
ومبقى قد مات جهـلا وغيـــا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلـودا
لا تعدوا الحياة في الجهل شـيا

احصى بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي ما عثر عليه من نتاج يحيى بن عدي منه :

١ ـ احدى الترجمات العربية الثلاث لكتاب سوفسطيقا لارسطو في مخطوطة بباريس .
٢ ـ ترجمة المقالة الثالثة من كتاب النفس لارسطو الى العربية نقلا عن السريانية في مكتبة مدينش .
٣ ـ كتاب تهذيب الاخلاق طبع في بيروت سنة ١٨٢٦ وفي القاهرة سنة ١٨٩١ .
٤ ـ شرح فلوبونوس على كتاب الترياق لجالينوس منه نسخة في بيروت .
٥ ـ الاحتجاج للمسيحية ضد عيسى بن هارون الوراق ، بيروت .
٦ ـ فلسفة الحب الالهي .
٧ ـ تفسير مقالة ارسطو في علم ما بعد الطبيعة في مكتبة باتنه .
٨ ـ المسائل الفلسفية .
٩ ـ مقالة في الموجودات مكتبة باتنه .
١٠ـ رسالة في الكل والجزء مكتبة باتنه(١٤٥) .

٦ ـ متى بن يونس
توفي سنة ٣٢٨هـ ٩٣٩م

نشأ ابو بشر متى بن يونس (يونان) في دير «قني » ويقع هذا الدير على الجانب الشرقي من نهر دجلة ، وبمسافة زهاء تسعين كيلو مترا جنوبي بغداد ، وكانت في هذا الدير مدرسة تدرس فيها اللغات اليونانية والسريانية والعربية(١٤٦) .

وبمرور الزمن نشأت قرية عرفت باسم «قرية ديرقني » لان هذا الدير كان قد بنى في المائة الاولى للميلاد . وفي هذا الدير درس متى بن يونس على طائفة من العلماء والمترجمين من امثال ابي يحيى الموزي الطبيب ، وابن قويري المترجم ، وابن كرنيب ، وروفيل ، وبنيامين(١٤٧) .

---

(١٤١) نفس المصدر .
(١٤٢) ابن القفطي ص ٣٦٣ .
(١٤٣) ابن ابي اصيبعة ٢٢٨ .
(١٤٤) ذات المصدر .
(١٤٥) بروكلمان ج ٤ ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .
(١٤٦) الديارات للشابشتي تحقيق كوركيس عواد الطبعة الثانية ص ٢٩٤ .
(١٤٧) ابن النديم الفهرست ص ٢٨٢ .

وقد انفرد ابن النديم بين المؤرخين العرب في دعواه بان متى بن يونس كان يونانيا ، في حين اكتفى غيره بقولهم انه كان نصرانيا . وقد وفد على بغداد وشارك في حركة الترجمة والنقل في عهد الخليفة الراضي بالله ، واشتهر بعلم المنطق ، والنقل من السريانية الى العربية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره(١٤٨) .

وعرف عن متى بانه كان فصيح العبارة جيد النقل الى العربية ، ولذلك وصفه ابن القفطي بانه « عالم المنطق » شارح ، مكثر ، وطيء اللسان ، قصده التعليم والتفهم ، وعلى كتبه وشروحه اعتماد اهل هذا الشأن في عصره ومصره(١٤٩) .

والى جانب ذلك كان متى بن يونس فقيها في اللغة العربية . وقد جرت له مناظرة في هذا الشان وفي مجلس عام مع ابي سعيد السيرافي النحوي بحضره الفضل بن الفرات(١٥٠) .

ولم يكتف متى بترجمة عدد من كتب ارسطو، والاسكندر الافروديسي ، وثامسطيوس ، وفرفوريوس ، وغيرهم ، بل وضع تعليقات اصيلة على كتبهم وشروحهم وتفسيراتهم ، ومنها تعليقاته على مقولات ارسطو ، وعلى كتاب ايساغوجي فرفوريوس(١٥١) وقال عنه ابن النديم انه فسر الكتب الاربعة في المنطق باسرها ، وعليها يعول الناس في القراءة(١٥٢) .

ولقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة متى بن يونس . فقد ذكر ابن ابي اصيبعة انه توفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، في حين قال ابن القفطي ان وفاته كانت بعد سنة عشرين وثلثمائة وقبل سنة ثلاثين(١٥٣) .

اما المستشرق الانكليزي ديلاسي اوليري فقد اورد تاريخين مختلفين لوفاة متى بن يونس . فذكر في كتابه « الفكر العربي ومكانته في التاريخ » انه توفى سنة ٣٢٨هـ ٩٣٩م ، بينما ذكر في كتابه الاخر « كيف انتقلت علوم اليونان الى العرب » ان وفاته كانت في سنة ٩٤٠م(١٥٤) .

ترجم متى عن ارسطو كتاب ابوديطيقا وقد نقله عن اللغة السريانية الى اللغة العربية ، وكانت الترجمة السريانية من عمل اسحق بن حنين ، كما ترجم كتاب سوفسطيقا الى السريانية في حين نقل كتاب الشعر من السريانية الى العربية ، وترجم جزءا من كتاب السماء والعالم ، وبعضا من كتاب الحس والمحسوس ، وجزءا من كتاب الحروف (الالهيات) كما نقل نص كتاب البرهان .

اما الشروح التي وضعت لكتب ارسطو فقد نقل متى منها شرح الاسكندر الافروديسي لكتاب الكون والفساد ، وشرح ثامسطيوس لكتاب الحكم والمواضع ، ولقسم من كتاب الحروف ، وترجم شرح امقيدوس لكتاب الكون والفساد ، وكتاب ايساغوجي لفرفوريوس ايضا .

وفضلا عن ذلك وضع متى شروحا لبعض مؤلفات ارسطو ولبعض الشروح التي وضعت لها فوضع تفسيرا لكتاب انالوطيقا الاولى ، وتفسيرا لكتاب باراومينياس ، وفسر شرح الاسكندر الافروديسي لكتاب قاطيغورياس ، وشرح ثامسطيوس لكتاب ابوديطيقا . وذكر ابن النديم والقفطي له كتاب المقاييس الشرطية ومقدمات كتاب انالوطيقا .

احصى بروكلمان بعض مترجمات ومؤلفات متى بن يونس في كتابه تاريخ الادب العربي ومنها

١ ـ كتاب البرهان (انالوطيقا الثانية) لارسطو الذي نقله الى العربية عن الترجمة السريانية التي وضعها اسحق بن حنين فذكر ان نسخة من هذا الكتاب موجودة في باريس ، واخرى في رامبور وتكيبور في الهند .

٢ ـ كتاب الشعر لارسطو توجد نسخة منه في مكتبة الاسكوريال بمدريد .

٣ ـ مناظرته مع ابي سعيد السيرافي موجودة في كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي الجزء الثالث .

---

(١٤٨) ابن النديم ص ٢٨٢ وابن القفطي ص ٢٢٢ ، وابن ابي اصيبعة ج ٢ ٢٢٧ وبروكلمان ج ١ ص ١٢٠ .
(١٤٩) ابن القفطي ص ٢٢٢ .
(١٥٠) نفس المصدر .
(١٥١) اوليري : الفكر العربي ومكانته في التاريخ ترجمة تمام حسان ص ١٢٨ .
(١٥٢) ابن النديم ص ٢٨٢ .
(١٥٣) ابن القفطي ٢٢٢
(١٥٤) اوليري الفكر العربي ص ١٢٨ وعلوم اليونان ص ٢٢٣ .

- ٢ -

بغداد في دوائر المعارف العالمية

ترجمة وتعليق

سليم طه التكريتي

تمهيد

مما تفخر به الامم الغربية ، وتعده مظهرا اساسيا من مظاهر حضارتها ، وازدهار العلوم والفنون فيها ، اقدام بعض هذه الامم على تدوين الموسوعات التي تضم مختلف البحوث والموضوعات التي تهم البشرية جمعاء ، مما عرف باسم « الانسكلوبيديا Encyclopaedia واصطلح على تسميته لدى العرب باسم « دائرة المعارف » او « المعلمة » .

ومما يحز في نفوس المخلصين من ابناء العروبة والاسلام ، أن نجد الامة العربية ذات التاريخ المجيد ومن ورائها العالم الاسلامي برمته ، ما تزال متخلفة حتى الان عن هذا المضمار ، على الرغم من توفر الامكانات المادية والادبية للنهوض بمثل هذا العمل المفيد .

ومما يزيد النفس ايلاما ان تعجز الحكومات العربية والمؤسسات العلمية فيها حتى عن ترجمة واحدة من هذه « المعلمات » ترجمة كاملة فلقد انبرى بعض من الشباب المصري في سنة ١٩٣٣ لترجمة « دائرة المعارف الاسلامية » وهي من اشهر هذه الموسوعات ، لكنهم لم يكملوا — مع الاسف — هذا العمل الجليل ، ووقفوا عند حد الاجزاء القليلة التي اصدروها من هذه الترجمة ، ونفضوا ايديهم من المشروع نهائيا .

ولما كانت « المورد » قد خصصت هذا العدد للتحدث عن « بغداد » فقد آثرنا ان ننقل ما ورد عن هذه المدينة العظيمة فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من دوائر المعارف هذه ، واجراء بعض التعليقات والتصويبات الضرورية لذلك .

بغداد في دائرة المعارف البريطانية(*)

بغداد اعظم مدينة في بلاد الرافدين القديمة . وهي اكبر مدينة وعاصمة للعراق الحديث ، ولمحافظة بغداد ذاتها . وتقع على نهر دجلة في القسم الاوسط الشمالي من العراق ، على بعد زهاء ثلثمائة وخمسين ميلا (خمسمائة وستون كيلومترا) شمالي الخليج العربي(١٥٥) .

ومنذ الاطاحة بالنظام الملكي في سنة ١٩٥٨ ، اصبحت العاصمة بغداد مسرحا لصراع سياسي ، حيث حاول القطر أن يجعل من نفسه دولة اشتراكية وحدوية . وقد بلغ عدد سكان المدينة في اوائل سني السبعينات اكثر من مليونين ومائة الف نسمة(١٥٦) .

تاريخ بغداد

تقع في محافظة بغداد كثير من العواصم القديمة من امثال « اكد » وبرج عقرقوف العاصمة الكشية الواقعة الى الغرب ، وسلوقية وطيسفون

(*) دائرة المعارف البريطانية الحديثة
New Encyclopaedia Britanica
طبعت سنة ١٩٧٤ في ثلاثين مجلدا المجلد الثاني صفحة ٥٨٥ — ٥٨٧ ، ومجلد ٣ ص٦٢٤ — ٦٢٧ .

(١٥٥) مايزال معظم الكتاب الغربيين الى الان يطلقون على الخليج العربي ما اطلقه الاستعمار الاوربي الغاشم عليه منذ مطلع القرن الخامس عشر .

(١٥٦) اظهر الاحصاء العام الذي اجري في سنة ١٩٧٧ ان عدد سكان بغداد بلغ ثلاثة ملايين وستمائة الف نسمة . وربما ارتفع هذا العدد الى زهاء اربعة ملايين نسمة في الوقت الحاضر .

WWW.ATTAWEEL.COM

اللتين تقعان على بعد حوالي عشرين ميلا الى الجنوب . وفي سنة ٧٥٠م قامت الخلافة في العراق وذلك بانشاء السلالة العباسية الحاكمة على يد « ابي العباس السفاح » . وفي سنة ٧٦٢م قرر خلفه واخوه ابو جعفر الذي اشتهر باسم المنصور ان يبني لنفسه عاصمة جديدة في موقع قرية ساسانية قديمة ؛ هي مدينة بغداد(١٥٧) .

وقد سميت مدينة المنصور « المدورة » باسم مدينة السلام ، وكانت تقوم على الضفة الغربية من نهر دجلة ، غير انه لم تبق اية اثار من هذه المدينة ، وغدا موقعها الصحيح غير معروف .

كان قطر المدينة المدورة ثلاثة الاف ياردة (٢٧٠٠ متر) . وكان لها ثلاثة اسوار موحدة المركز ، لكل واحد منها اربعة ابواب ، تمر خلالها طرقات تبدأ من قصر الخلافة في وسط المدينة ، وتتجه نحو الاطراف الاربعة للامبراطورية العباسية ولم يسمح باقامة الاسواق داخل المدينة المدورة ، وقد نشأ حي التجار « الكرخ » خارج باب البصرة.

ومن الباب الشرقي الشمالي يمر طريق خراسان عبر نهر دجلة فوق جسر عائم . وخلف هذا الطريق ، وعلى الضفة الشرقية من النهر ، كان يقوم قصر « المهدي » الذي خلف المنصور في الحكم ، وقد قامت وتعاظمت حوله الضواحي الثلاث وهي « الرصافة » و « الشماسية » و « المخرم » وهي اقدم المستوطنات السابقة لمدينة بغداد الحديثة .

ولقد بلغت بغداد ذروة رخائها في القرن الثامن واوائل القرن التاسع الميلادي . وذلك في عهد الخليفة هرون الرشيد بن المهدي ، الذي جمع في عاصمته الثروات وعلوم العالم المعروف آنذاك . وقد وردت حكايات كثيرة تحدثت عن مجد بغداد في

(١٥٧) كشفت التنقيبات الاثرية في السنوات الاخيرة عن شواهد تؤكد ان بغداد كانت معروفة بهذا الاسم وفي موضعها الحالي منذ العصر البابلي وربما قبله . فقد اشارت احدى الوثائق من عصر حمورابي (سنة ١٨٠٠ ق . م) الى مدينة بغدادو وهذا يشير الى ان الاسم كان مستعملا قبل عصر حمورابي وعلى وجه التحديد قبل اي نفوذ فارسي محتمل .

كما عثر على حجر حدود من عهد الملك البابلي مردوك ـ ابال ـ ادرن (١٢٠٨ ـ ١١٩٥ ق .م) يشير الى مدينة بغداد وعثر على حجر من احجار « ادنيراري الثاني الاشوري ٩١١ ـ ٨٩٢ ق . م » ذكر فيه اسم « بغدادنو » كما ذكر الملك الاشوري ايضا « تغلات بلسر الثالث ٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق .م » اسم بغداد في بعض مدوناته (دائرة معارف الاسلام طبعت ١٩٦٠ المجلد الاول ص ٨٩٤ النص الانكليزي)

تلك الفترة ، كما ورد ذلك في قصص الف ليلة وليلة .

اعقبت وفاة هرون الرشيد قيام حرب اهلية بين ولديه ؛ خربت خلالها المدينة المدورة تخريبا فظيعا ؛ لم تقم لها قائمة بعدها . وفي الفترة بين سنتي ٨٣٦ و ٨٩٢م هجر الخلفاء مدينة بغداد لان حرسهم الخاص من الاتراك اصبح مقيتا ؛ فانتقلوا الى عاصمة جديدة هي « سامراء »(١٥٨) . وما لبثوا ان اقاموا ؛ بعد عودتهم الى بغداد في نهاية القرن التاسع الميلادي ؛ في « المخرم » على الضفة الشرقية من دجلة .

وفي سنة ١٠٩٥م تم انشاء سور جديد حول بغداد وقد بقي هذا السور مع كثير من المستودعات فيه قائما حتى القرن التاسع عشر حين اصابه التخريب على نطاق واسع . ولقد نسف احد البابين الباقيين من ابواب ذلك السور ، وهو « باب الطلسم » عند انسحاب الاتراك من بغداد سنة١٩١٧ اما الباب الثاني ، وهو « الباب الوسطاني » فما يزال قائما وقد اعيد ترميمه واتخذ متحفا للاسلحة.

وعلى الرغم من انحطاط سلطة الخلفاء الاخيرين بقيت بغداد مركزا عظيما للتجارة والثقافة ، ما دام الرخاء الزراعي متواصلا في العراق . وجاء سقوطها الحقيقي عندما اجتاح « هولاكو » المغولي بلاد الرافدين ، واستولى على بغداد سنة ١٢٥٨م ، وقتل الخليفة « المعتصم » مع ثمانمائة الف من سكان المدينة ذاتها ، كما ذكر ذلك .

نجم عن القضاء على الحكومة العباسية ، انتقال السلطة التي استطاعت ان تحافظ على صيانة نظام الري ، وحماية الاراضي المزروعة من القبائل البدوية المغيرة . واذ ذهبت الاهمية السياسية لمدينة بغداد ، هبط عدد سكانها الى حد العشر ، فلم تنهض بعد ذلك ، ولم تبلغ اكثر من مرتبة مدينة اقليمية ؛ الى ان ظهر العراق كدولة مستقلة بعد الحرب العالمية الاولى . لقد ظلت بغداد تخضع لسلطة « الخانات » الذين اعقبوا هولاكو في الحكم حتى سنة ١٣٠٤م ، حين حققت الاستقلال المحلي

(١٥٨) تؤكد الشواهد التاريخية والاثرية القديمة ان سامراء كانت مستوطنة حضارية قبل فجر التاريخ وانها كانت معروفة باسم سمارا Samara حتى في العهود الاكدية والبابلية والاشورية . انظر كتابنا مع الدكتور عيسى سلمان عن سومر الذي ترجمناه عن الاثاري الفرنسي اندريه بارو والذي صدر موخرا .

في عهد « الجلائريين » الذين حاولوا استعادة رخائها .

في سنة ١٤٠١م تعرضت بغداد لاخر موجة اجتاحتها من الغزاة المغول تحت امرة «تيمورلنك» وفي سنة ١٤١٠م سقطت تحت حكم « قره قوينلو » اي «الاغنام السوداء» ، وهم من «التركمان» الذين افسحوا الطريق في سنة ١٤٦٩م امام «آق قوينلو» اي « الاغنام البيض » .

ولقد اخرج هؤلاء « آق قوينلو » في سنة ١٥٠٨م من بغداد على يد الشاه اسماعيل الصفوي. وفي سنة ١٥٢٤م استولى العثمانيون على بغداد لاول مرة في عهد السلطان سليمان الفاتح وما لبث الشاه عباس الفارسي ان استعادها تحت حكمه في سنة ١٦٢٣م لكن اعيدت تحت حكم الاتراك على يد السلطان مراد الرابع في سنة ١٦٣٨م .

كان هذا التبدل المستمر في ولاء بغداد يعود ، في ناحية منه ، الى موقعها الجغرافي ، ووقوعها بين امبراطوريتين عظيمتين، كما يعود ، من ناحية ثانية، الى الخلاف بين ابنائها .

وفي اثناء القرن السابع عشر الميلادي ، لم يعمل الحكام الاتراك الذين كانوا يتعاقبون بسرعة ، سوى الشيء القليل لاستعادة الرخاء في بغداد . على ان بداية القرن الثامن عشر ، شهدت تعيين حاكمين « واليين » متعاقبين ، هما حسن باشا وولده احمد باشا[١٥٩] اللذين اصلحا ادارة الحكومة وذلك عن طريق ادخال طبقة من الموظفين من الارقاء القوقاز المدنيين والعسكريين ، الذين عرفوا باسم « المماليك » ، الذين رفعوا من منزلة العاصمة بغداد ، فاستطاعت ان تسيطر على كل بلاد الرافدين من البصرة الى ماردين ، ومن دون ان يدينوا الا بولاء شكلي لاسطنبول .

ولقد اعقبت هؤلاء طائفة من الحكام المماليك الى ان تم الغاء حكم المماليك على يد السلطان محمود الثاني في سنة ١٨٣١م . وفي عهد الحكم المملوكي اصبح النفوذ الاجنبي ، وعلى الاخص النفوذ البريطاني ، ملحوظا بصفة اكثر في بغداد ، فقد انشئت في المدينة مقيمية بريطانية في سنة ١٧٩٨م. وفي سنة ١٨٠٢م منح المقيم البريطاني في بغداد رتبة قنصل .

ولقد كانت منزلة المقيم البريطاني في بغداد تاتي في الدرجة الثانية بعد الوالي ، وذلك في عهد المقيم « كلوديوس جمس ريج » (١٨٠٨–١٨٢١م) وعهد المقيم « رولنصون » (١٨٤٣–١٨٥٥م)[١٦٠] .

استولت القوات البريطانية على بغداد سنة ١٩١٧[١٦١] ، ثم اصبحت عاصمة لمملكة العراق المستقلة سنة ١٩٢١ .

ولقد كانت المدينة مهدا لثورة عارمة اثارها الشعور المعادي للانكليزي في سنة ١٩٤٢[١٦٢] . وبعد انقلابات متعاقبة ، قام الجيش بانقلاب في سنة ١٩٥٨ تم به القضاء على الملكية . وحدثت ثورة اخرى في بغداد سنة ١٩٦٣[١٦٣] جاءت بحزب البعث الى الحكم لكنه لم يدم فيه سوى فترة قصيرة ، ومن ثم استعاد البعثيون الحكم في سنة ١٩٦٨ .

بغداد المعاصرة

موقع المدينة ومخططها

يكون موقع مدينة بغداد على نهر دجلة ، في اقرب نقطة تفصل بين دجلة والفرات ، وهي لا تزيد عن خمسة وعشرين ميلا . وعلى مسافة ستة وعشرين ميلا يلتقي نهر دجلة باكبر رافد له هو نهر ديالى وتقع المدينة في سهل مستو يرتفع بمقدار مائة واثني عشر قدما (اربعة وثلاثون مترا) عن مستوى البحر .

كانت المدينة قد بنيت في الاصل على الضفة الغربية من نهر دجلة . ولكن في خلال اكثر من الف سنة اصبح القسم الاعظم منها يقع على الضفة الشرقية من النهر . ومع ذلك توجد ضاحية واسعة متعاظمة في الجانب الغربي ، تضم « الكرخ » و « كرادة مريم » و « المنصور » . وترتبط الضفة

---

(١٥٩) الصواب اواخر القرن السابع عشر حيث حكم حسن باشا خلال الفترة (١٦٨٩ – ١٦٩٠ م) وحكم احمد باشا في الفترة مابين سنتي ١٦٩٢ – ١٦٩٥ م .

(١٦٠) اكملنا ترجمة رحلة « ريج » الشهيرة المنونة « حديث القامة في كردستان سنة ١٨٢٠ » بجزئيها وعلقنا عليها تعليقات وتصويبات ضافية وهي معدة للطبع الآن .
اما « رولنصون » فهو الى جانب قيامه بوظيفة المقيم البريطاني في بغداد ، كان من اشهر علماء الاثار في ذلك الوقت ولقد قام باكتشافات عديدة في كل من نينوى ، ونلو ، وغيرها .

(١٦١) رفع الاحتلال البريطاني لمدينة بغداد في الحادي عشر من شهر اذار سنة ١٩١٧ .

(١٦٢) اخطا الكاتب في تحديد التاريخ فالصواب هو سنة ١٩٤١ التي قامت في الشهر الخامس منها ثورة ايار المجيدة .

(١٦٣) يقصد بها ثورة الثامن من شباط ١٩٦٣ .

الشرقية مع هذه الضواحي بجسور ، يمتد فوق واحد منها خط حديدي .

وهناك جسر آخر يصل الى الكاظمية شمالي الكرخ . وهي عبارة عن بلدة شهيرة اتسمت وتعاظمت حول قبري « موسى الكاظم » و « محمد الجواد » الامامين السابع والتاسع المنحدرين من نسل الرسول. ومع ان التمييز بين منطقة المدينة القديمة وحاضرها يبدو غير دقيق ، فان المنطقة الاولى تبلغ زهاء اربعة عشر ميلا مربعا ، والثانية خمسة وسبعون ميلا مربعا .

المنـــاخ

تكون اشهر الصيف (من شهر ايار الى شهر تشرين الاول) جافة . وشديد الحر . ذلك ان المعدل اليومي لدرجة الحرارة خلال شهري تموز وآب ، يصل الى حد ثمانين درجة فهرنهايت (سبع وعشرون درجة مئوية) قبل غروب الشمس ، ومن مائة وخمس درجات فهرنهايت الى مائة وعشر درجات فهرنهايت (من احدى واربعين الى ثلاث واربعين درجة مئوية) وذلك في منتصف النهار ، غير انها ما تلبث ان تهبط الى ما دون ست وسبعين درجة فهرنهايت (اربع وعشرون درجة مئوية) اثناء الليل .

وتكون ايام الشتاء اكثر بردا ، اذ ان معدل درجة الحرارة فيها يكون حوالي خمس وخمسين درجة فهرنهايت (ثلاث عشرة درجة مئوية) .

ويؤدي هبوب لرياح الشمالية الغربية الجافة الشاملة والمعروفة باسم « رياح الشمال » الى التخلص من شدة الحر ، لكنها تثير الزوابع الترابية ايضا ، وعلى الاخص في شهر تموز ويكون معدل سقوط الامطار في حدود خمس بوصات (مائة وثلاثون ملمترا) في السنة .

بغداد وما جاورها

تم استبدال الدور والحوانيت المزدحمة في المدينة القديمة ، والتي لم تكن لمعظمها اية اهمية اثرية ، وكذلك الازقة والممرات الضيقة ، بشوارع عريضة ، ودوائر ، ومخازن ، وفنادق حديثة ، وهكذا اخذ مظهر المدينة القديمة يتغير تدريجيا خلال سني السبعينيات ولقد بقيت اسواق النحاس والفضة ، والملابس وغيرها على حالتها ، كما بقيت كثير من المساكن والمقاهي والجوامع والمساجد القديمة المميزة ، على ما كانت عليه قبلا .

فعلى الجانب الغربي من النهر تقوم بناية البرلمان ، وكذلك السفارات الاجنبية في العاصمة(١٦٤) . واصبح للضواحي الرئيسة في هذا الجانب من امثال الكرخ ، وكرادة مريم ، والمنصور(١٦٥) اسواقها وحوانيتها الخاصة بها . كما قامت الانحاء السكنية وحدائقها على ضفتي النهر .

وقد ادى انجاز سد سامراء في سنة ١٩٥٦ الى انقاذ مدينة بغداد من خطر الفيضانات المدمرة ، والتي كانت تسبب الدمار الشديد في كثير من المناسبات خلال التاريخ . كذلك ادت السيطرة على الفيضان الى اتساع المدينة فاصبح مخططها الجديد دائري الشكل ، يشمل كلا الجانبين من النهر .

وســـائط النقل

تتالف وسائط النقل داخل بغداد من سيارات الاجرة و « الباصات » وقد ازدادت وسائط النقل الالية زيادة حادة منذ سنة ١٩٥٠ . فالمدينة التي توسعت عند ملتقى طرق التجارة القديمة الآتية من ايران وبلدان الشرق الاقصى عبر وادي نهر ديالى الى بغداد ، وعبر وادي نهر الفرات نحو سوريا والبحر الابيض المتوسط ، او عبر وادي دجلة الى ارمينيا والبحر الاسود ، هذه المدينة ما تزال مركزا للمواصلات عبر هذه المناطق .

ولقد وضعت خلال القرن التاسع عشر عدة مشاريع لتحسين المواصلات مع بغداد . فقد اجري مسح كامل لحوض نهر الفرات ، وللقسم الادنى من حوض نهر دجلة في سنة ١٨٣٦ . وفي سنة ١٨٦٠ تم تاسيس مصلحة بواخر اعتيادية في نهر دجلة بين بغداد والبصرة . وفي اواسط القرن الحالي تدنت اهمية النقل بالنهر ، وان بقيت في سني السبعينات بعض وسائل النقل العاملة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة(١٦٦) .

---

(١٦٤) كانت معظم السفارات الاجنبية تحتشد في منطقة كرادة مريم بصفة خاصة منذ اواخر سني الخمسينات واوائل سني الستينات لكن هذه السفارات انتقلت الآن الى اماكن اخرى في الجانبين الغربي والشرقي من بغداد .

(١٦٥) مع ان الكرخ كانت من ضواحي بغداد عند انشائها على يد المنصور ، الا ان الكرخ كان يقصد به على الدوام الجانب الغربي كله من بغداد .

(١٦٦) تقتصر هذه الوسائط في الوقت الحاضر على بعض الزوارق البخارية التي تنقل الحمولات ، في حين بقيت بعض السفن الصغيرة التي كانت تنقل الركاب في دجلة بين بغداد والبصرة حتى اواخر سني العشرينات .

تلتقي طرق السكك الحديدية الكبرى الثلاثة التي تمتلكها الدولة وتديرها في مدينة بغداد . فهناك خط يسير شمالا الى الموصل . وحتى سنة ١٩٤٠ لم تكن العاصمة قد ارتبطت نهائيا باوربا ، عن طريق القطار ، وذلك عندما كمل مد سكة حديد بغداد عبر الاراضي السورية الى اسطنبول(١٦٧) .

وهناك خط ثان يربط بغداد مع البصرة ، وخط اخر يربطهما مع الانحاء الشمالية الشرقية الى اربيل عبر مدينة كركوك .

وقد تاسست مصلحة نقل منتظمة بالسيارات بين بغداد ودمشق في سنة ١٩٢٣ ، اما في النصف الثاني من القرن الحالي فقد اصبحت المدينة تحتفظ بطرق خارجية تتعقب الطرق التقليدية ، وتربطها بكل المدن الرئيسة في العراق . وغدت سيارات النقل المجهزة بالات تكييف الهواء تجلب الكثيرين من الزوار الاجانب .

وافتتح خط لنقل البريد بين القاهرة وبغداد في سنة ١٩٢١ ، واعقبه خط لنقل المسافرين بينهما في سنة ١٩٢٩ . واصبح للمدينة مطاران مدنيان ، وقد كمل بناء مطارها الدولي في سنة ١٩٧٠ .

احصائيات السكان

بلغ عدد سكان مدينة بغداد في سنة ١٩٧٠ اكثر من مليونين ومائة الف نسمة ، وذلك بالمقارنة مع مليون وستمائة الف نسمة في سنة ١٩٦٥ .

ولقد ادى هذا النمو السريع في المدينة الى نقص عدد المساكن التي تفي بحاجة القادمين الجدد ، على الرغم من انخفاض كلفة المشروعات العامة ، والاغلبية الساحقة من سكان المدينة هم من العرب وهناك عناصر اقليات تشمل الاكراد ، واللر ، والافغانيين ، والارمن ، والايرانيين ، والصابئة ، وغيرهم .

واللغة الرئيسة في المدينة هي اللغة العربية ، وهي اللغة الرسمية في العراق . والدين الاساس هو الاسلام . وهناك عدد واسع من المسيحيين . اما اكثرية افراد العائلة اليهودية السابقة فقد هاجروا الى بلدان اخرى .

(١٦٧) كان خط سكة الحديد بين بغداد والموصل ينتهي عند قرية بيجي (فضاء بيجي الان) وقد بوشر بايصال الخط الى الموصل ابتداء من سنة ١٩٣٦ وحين كمل انشاء هذا الخط في اواخر سنة ١٩٢٩ تم ربطه بالخط الحديدي الذي يربط سوريا مع تركيا واوربا .

الاسكان والعمارة

ادى الانفجار السكاني في بغداد ، كما هو الامر في بقية المدن الاخرى التي تتعاظم بسرعة ، الى حدوث نقص في بناء بيوت السكن . ولم تعد مشاريع بناء المساكن تتماشى مع الحاجة الى توفير السكن . وفضلا عن ذلك فان المشاريع السكنية واسعة النطاق ؛ من امثال توسيع واستقامة الشوارع ، وانشاء الدوائر الكبيرة والمتوسطة ، واقامة المنشآت التجارية ، لم تؤد الى نقص عدد المساكن في بعض المناطق حسب ، بل انها اجتذبت ايضا عددا كبيرا من العمال الذين كانوا يبحثون عن العمل .

وكان من حسن الحظ ان سمحت السيطرة على الفيضان بحدوث التوسع في المدينة .

يتراوح فن العمارة في بغداد بين البيوت والازقة الشرقية القديمة ، والبيوت والفنادق والمستشفيات الحديثة التي تبنى بالحديد والزجاج والحجر . وهناك امثلة من فن العمارة في القرن الثالث عشر الميلادي ما تزال باقية من العصر العباسي ، وهي تشتمل على « القصر العباسي » و «المستنصرية» وهي كلية كبيرة للفقه شيدها وانفق عليها الخليفة المستنصر بالله سنة ١٢٣٢م ، وقد اعيد استخدام هاتين البنايتين بمثابة متحف .

وهناك مجموعة اخرى شهيرة من الابنية باقية من القرن الرابع عشر تشتمل على جامع وكلية شيدا على يد « مرجان بن عبدالله » حاكم بغداد الجلائري في سنة ١٣٥٨م ؛ بالاضافة الى خان جميل معقود (كروان صاري او نزل) يستعمل الان متحفا للاثار العربية .

اما الجوامع والمساجد التي تزيد على مائة ، ومن بينها القباب المذهبة في الكاظمية ، والتي كمل بناؤها في القرن التاسع عشر ، فانها تضيف المزيد من الاهمية العمرانية للمدينة .

وتشتمل المباني الحديثة على البلاط الملكي للملك فيصل الاول مؤسس الملكية(١٦٨) و « القصر الابيض » (مقر ضيوف الحكومة) وقاعة المدينة(١٦٩) وبناية وزارة الدفاع ، والبلاط الملكي

(١٦٨) نقض البلاط الملكي القديم في سنة ١٩٧٣ .
(١٦٩) عرفت باسم قاعة الملك فيصل في العهد الملكي ، وقد استبدلت باسم قاعة الشعب منذ ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ .

(القصر الجمهوري) ، وبنايات جامعة الحكمة في الزعفرانية ؛ والمتحف العراقي الحديث(١٧٠) .

الحياة الاقتصادية

ازدادت عائدات العراق من النفط بعدالحرب العالمية الثانية زيادة كبيرة جدا وقد انعكست الثروة التي اصابتها البلاد في وفرة راس المال ، فشرع التجار يهتمون بالاستيراد والتوزيع ، كما اخذوا يهتمون ــ ولو على نطاق ضيق لكنه متعاظم ــ في انشاء صناعات السلع الراسمالية والاستهلاكية .

وتتركز معظم الصناعات العراقية في بغداد . وهي تشمل صناعة الجلود والاقمشة الحريرية والقطنية ، والاجر ، والسمنت ، ومنتجات التبوغ، وتقطير المواد الكحولية من التمور والاعناب . وهناك معامل لسكك الحديد ومصنع للفولاذ(١٧١) .

كذلك تركزت الخدمات الحالية هي الاخرى في العاصمة ايضا ، وهي تضم المصرف المركزي في العراق والذي له وحده حق اصدار العملة .

الحكومة والخدمات

يدير المدينة امين العاصمة وهو عسكري(١٧٢) كما ان للمحافظة محافظ . ويقوم في بغداد مقر الحكومة القومية ومركز مؤسساتها الرئيسية وفروعها .

ولقد اتسعت تسهيلات التعليم بعد الثورة اتساعا سريعا جدا ، وتم انجاز التعليم الجامعي الاجباري في بغداد تقريبا ، واصبح التعليم العالي مجانيا ، وهو متوفر في جامعة بغداد التي تاسست في سنة ١٩٥٨ . وتوجد في بغداد جامعة الحكمة التي تاسست سنة ١٩٥٦ ، وجامعة المستنصرية التي انشئت في سنة ١٩٦٣ ، واربع كليات من بينها المعهد التقني العالي الذي انشيء في سنة ١٩٦٠ ، ومعهد الفنون الجميلة الذي اسس سنة ١٩٣٦ .

وكانت بغداد اول من استفاد من مشروع توفير السكن للفقراء ، ومن التوسع في الخدمات والتسهيلات الصحية والاجتماعية ، بما في ذلك انشاء المستشفيات والعيادات الطبية الحديثة . اما مشاريع القوة الكهربية ؛ وتوفير اسالة الماء في المدينة ؛ فانها ملك للدولة ؛ وتدار من قبلها مباشرة.

الحياة الثقافية

يستدل من تاريخ المدينة ، ومن كثرة الجوامع والمساجد فيها ؛ ان الكثير من نواحي الحياة الثقافية فيها كانت متركزة لدى الطوائف الدينية.

فمرقد الامامين ومسجد الكاظمية الذي يضمهما ؛ من اهم الاماكن التي يقصدها الزوار .

وتشتمل المكتبات الموجودة في بغداد على مكتبة الاوقاف التي تاسست سنة ١٩٢٩ ، وهي تضم مجموعة من كتب التاريخ والاداب العربية . وتعتبر المكتبة المركزية التابعة لجامعة بغداد ؛ والتي تاسست سنة ١٩٦٠ ؛ مستودعا للمطبوعات العراقية وتستخدم بمثابة مركز للتبادل الدولي(١٧٣) .

وهناك معاهد ثقافية اخرى منها متحف القصر العباسي ، ومتحف الاسلحة الذي انشيء في سنة ١٩٤٠ ، ومتحف الازياء الذي افتتح في سنة ١٩٤١. اما المتحف العراقي الذي تاسس في سنة ١٩٢٣ فقد جدد في سنة ١٩٦٦ ، ومتحف التاريخ الطبيعي الذي انشيء في سنة ١٩٤٦ ، والمتحف الوطني للفن الحديث المؤسس سنة ١٩٦٣ ؛ ومتحف الاثار العربية الذي انشيء سنة ١٩٣٧ وهناك ايضا عدد من الجمعيات المعروفة في العلوم والفنون .

وسائل التبادل

كانت توجد في بغداد خلال سني السبعينات اكثر من ست صحف يومية . وكانت جريدة « الزمان » تعتبر اكثرها اهمية بصفة عامة(١٧٤) .

---

(١٧٠) اتمت جامعة الحكمة التي تمتلكها وتديرها طائفة من البشريين الامريكان في سنة ١٩٧٢ فاصبحت الان مقرا لمعهد التكنلوجيا .

(١٧١) لاتوجد معامل للسكك الحديد سوى معامل التصليح وصنع العوارض الكونكريتية في الشالجية . اما معمل الصلب فيجري العمل في انشائه الان .

(١٧٢) استبدل امين العاصمة العسكري في اوائل هذه السنة بامين مدني .

(١٧٣) نسي الكاتب المكتبة الوطنية التي تاسست سنة ١٩٢٥ وهي من اهم المكتبات العامة واقدمها في العراق . كما نسي الكاتب ان يشير ايضا الى مكتبة الآثار العامة التي نقلت مجاميع الصحف والمجلات منها مؤخرا الى المكتبة الوطنية ولم يذكر المجمع العلمي العراقي ومكتبته ، وغير ذلك من المكتبات الملحقة بالكليات والمعاهد وغيرها .

(١٧٤) هذا خلط فاضح ومشين من كاتب المقال . ذلك ان جريدة « الزمان » قد عطلت منذ صبيحة اليوم الثامن من شباط سنة١٩٦٣ولم يسمح لها بالصدوربعد ذلك ابدا. اماالصحف التي صدرت خلال سني السبعينات الحالية فهي الثورة والجمهورية ، والتاخي ، وطريق الشعب ، والعراق .

وبالاضافة الى هذه توجد صحف اسبوعية سياسية ودوريات فنية ، ونشرات حكومية عن شؤون التعليم والموضوعات الاخرى .

واللغة الانكليزية من اوسع اللغات الاجنبية الشائعة . وكانت الصحف والمجلات البريطانية والامريكية مقروءة في العاصمة .

اصبحت الاذاعة والتلفزيون ملكا للحكومة منذ سنة ١٩٦٧(١٧٥) واذاعة بغداد هي اذاعة الامة الوحيدة ، وهي تذيع بعدة لغات في كل انحاء القطر . اما محطة تلفزيون بغداد — وهي اول محطة من نوعها انشئت في اي بلد عربي — فانها قد بدأت البث في سنة ١٩٥٦ .

ما تزال المصادر الحديثة عن بغداد متفرقة ، رغم وجود عدد من المؤلفات التي تشمل تاريخ المدينة من امثال كتاب « لي سترانج » المعنون « بغداد اثناء الخلافة العباسية من المصادر العربية والفارسية » الذي صدر لاول مرة سنة ١٩٠٠ ثم اعيد طبعه سنة ١٩٢٤(١٧٦) وكتابي « ستيفن همسلي لونغريغ » وهما « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » و « العراق من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ »(١٧٧) وكتاب « نابيا ابوت » المعنون « ملكتان في بغداد » عن ام الرشيد وزوجته(١٧٨) ، وكتاب طه باقر عن بغداد »(١٧٩) .

اما تاريخ المواصلات فيتمثل في كتاب «مبيل ربيكا جابمان » المعنون بريطانيا العظمى وسكة حديد بغداد ١٨٨٨ — ١٩١٤ الصادر في سنة ١٩٤٨ . وكتاب « روبرت . م . ادمز » المعنون « ارض فيما وراء بغداد » هو دراسة فنية تتركز حول الاتجاهات المتغيرة في شؤون الري ، والزراعة ، والمستوطنات المدنية . وهناك معلومات قيمة عن بغداد وردت في كتاب « فرياستارك » الموسوم « صور من بغداد » والصادر في سنة ١٩٢٧ .

بغداد في اوج ازدهار الامبراطورية العباسية

بلغت بغداد اوج ازدهارها في عصر الخليفة المأمون (٨١٣ — ٨٣٣م) فاذا كانت اية خلافة تستحق بان توصف بانها العصر الذهبي للمدنية العربية ، فان تلك هي خلافة المأمون .

فلقد قام المأمون الذي اتسم بالشجاعة بعدة حملات ضد البيزنطيين ، وقضى على الثورات التي حدثت في مصر ، وسوريا وارمينيا ، وخراسان ، على ان انتصار المأمون على اخيه الامين كان ينظر اليه دوما بانه انتصار فارسي موجه ضد المصالح العربية التي كان يمثلها اخوه الخليفة المندحر ، وهذا الاعتقاد مصيب على نطاق واسع . ذلك لان المأمون جلب معه الجيوش الفارسية ، والوزراء الفرس . وافسح المجال امام الاتجاهات الفارسية ، في التطبيق الاداري التي كانت مستترة اثناء الحكم السابق فغدت الآن ظاهرة بشكل متشدد كذلك كان المأمون صاحب ذهنية وقادة استفاد من الخلافات القائمة بين اصحاب العقائد ، فقد انشأ المراصد وشجع دراسة علم الفلك والهندسة ، كما اسس « بيت الحكمة » في بغداد ، وكرسه لترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية عن الاصل اليوناني .

ويبدو ان المأمون كان يحمل في ذهنه تصميما عظيما لصورة اسلامية موحدة ، تراب الصدع العميق بين المسلمين . فبمثل هذه الطريقة يمكن ضمان الوحدة السياسية الخلافة ، وتحقيق السلام الداخلي والرخاء . وقد ادى عطفه على المفكرين من جماعة « المعتزلة » الذين كانوا يركزون الدفاع عن الاسلام بالجدل العقلاني ضد الهرطقة والكفر ، الى تقارب قوي من الشيعة الذين كانوا يشاركون المعتزلة في بعض مواقفهم .

وطبقا لذلك تميز القسم الاوسط من عهد المأمون باختيار الامام « علي الرضا » وريثا له وذلك في سنة ٨١٧م . لكن حدث ان مات الامام بعد ذلك بوقت قصير . ولا يعني هذا بالضرورة ان المأمون كان يخطط بصفة دائمة لتحويل الحكم الى العلويين ، لكنه ربما كان يعتزم ان يوسع قاعدة الترشيح امام القادرين من المرشحين العباسيين والعلويين الذين قد ينجحون في ذلك طبقا المواهب الشخصية . ولقد جرت مثل هذه المحاولة من قبل خلفاء عباسيين اخرين خلال القرن

---

(١٧٥) هذا قول خاطيء لان الاذاعة منذ ان انشئت في سنة ١٩٢٦ كانت ملكا للحكومة ، ومثل ذلك حصل لمحطة التلفزيون ايضا

(١٧٦) ترجمة الاستاذ بشير فرنسيس ونشره في سنة ١٩٣٦ .

(١٧٧) ترجم الاستاذ جعفر خياط كتاب اربعة قرون وطبع اربع طبعات اخرها في سنة ١٩٧٤ اما الكتاب الثاني من مؤلفي لونغرينغ فلم يترجم حتى الان .

(١٧٨) ترجم السيد عمر ابو النصر هذا الكتاب ونشره في بيروت سنة ١٩٦٦ .

(١٧٩) كتيب صغير اصدرته مديرية الاثار العامة .

التاسع ، وعلى الاخص على يد كل من « المنتصر » و « المعتضد » .

مدرسة بغداد للتصوير

تعتبر هذه المدرسة ، على اوسع احتمال ، اول مدرسة تعنى بتصوير المنمنمات الاسلامية . وقد تأسست هذه المدرسة في اواخر القرن الثاني عشر الميلادي (ولو ان اقدم النتاجات الفنية الباقية لا يمكن ان يعزى تاريخها الى ما قبل القرن الثالث عشر) .

لقد انشئت المدرسة اول الامر في عهد الحكام الاتابكيين ، وهم الاوصياء المحليون الذين استولوا على الحكم بعد سقوط حكم الاتراك السلجوقيين في منتصف القرن الثاني عشر . وبقيت هذه المدرسة قائمة حتى بعد تدمير بغداد على ايدي المغول سنة ١٢٥٨م ، واستمرت موجودة الى حدود سنة ١٣٠٠م .

ولقد اظهرت مدرسة بغداد هذه مقاومة واستقلالا مدهشين ، وبقيت متحررة من التأثيرات المغولية ، والسلجوقية التي تغلغلت في معظم الاساليب المحلية للتصوير . كانت المميزات الشهيرة لفن مدرسة بغداد تتمثل في تصوير الوجوه الفردية المعبرة بدلا من الانماط الظاهرية ، وذلك بالتعبير عن الحركة ، والاهتمام بتفاصيل الحياة اليومية .

من الامثلة الاولى لمنمنمات مدرسة بغداد ، هي الصور التي رسمت لترجمة عربية من كتاب « دسقوريدس » المعنون « الاقرباذين »(١٨٠) المؤرخة بسنة ١٢٢٤م . وهذه المخطوطة موزعة الان في جملة من المجاميع الخاصة والمتاحف . فهناك رسم محفوظ في معرض «فرير » بمدينة «واشنطن » يصور احد الاطباء اليونانيين وهو يفسر وصفة طبية لاحد الكتبة . فهذا الرسم يكشف عن عناصر تقليدية لمدرسة بغداد ، تلك العناصر التي تتميز بالالوان القوية ، والاحساس الحسن المتطور للتصميم ومظاهر الوجه المعبرة .

ومع ان صور الاشخاص قد رسمت بشكل بسيط ، وعلى اساس البعدين ، الا ان هنالك واقعية تبعث من الاهتمام بالتفصيل .

وتبين فاتحة كتاب « رسائل اخوان الصفا The Epistles of the Sincere Brethren التي يعود تاريخها الى سنة ١٢٨٧م ، ان عناصر الاسلوب الاساسية لمدرسة بغداد قد بقيت حية حتى النهاية . فهذه الصورة المحفوظة في مسجد « سليمانية » باسطنبول تبين ايضا واقعية في التفصيل ، في ذات الوقت الذي تحتفظ فيه بصفة زخرفية طاغية .

لقد صور مؤلفو الكتاب مع كتبهم ، وركز الاهتمام على الوحدة . ولم يكن استعمال الالوان — مع التركيز على اللونين الابيض والذهبي — اقل اثارة من الالوان التي احتوتها النتاجات الاولى لمدرسة بغداد ، ففي بداية القرن الرابع عشر الميلادي ماتت هذه المدرسة ، وبدا التصوير في المنطقة باخذ الكثير من مميزات المدارس المغولية .

× × ×

دائرة المعارف الدولية(١٨١)

بغداد عاصمة العراق ، واكبر مدينة فيه ، تقع في القسم الشرقي المركزي من القطر ، على ضفتي نهر دجلة . وليست بغداد هي مقر الحكومة حسب ، بل هي المركز التجاري ، والصناعي ، والثقافي للعراق . وهي تستخدم اكثر من خمس اليد العاملة في البلاد ، والذين يسكنون بكثرة عند الجانب الغربي من النهر(١٨٢) .

وتشتمل المشاريع فيها على سكك الحديد ، والمشاغل ، ومحلات التصليح ، ومعامل الزيوت والاسفلت ، ومعمل تكرير النفط ، والمواد الانشائية بالاضافة الى معامل صغيرة وكبيرة لصنع الاقمشة والملابس ، وكثير من الصناعات الانشائية .

وتتلقى بغداد من المطر ايام الشتاء ما معدله ست بوصات ويكون الجو بهيجا تماما ، ولكن في معظم

---

(١٨٠) De Materia Medica
مادة تستعمل في تركيب الادوية وهذا الكتاب من وضع احد علماء النبات والطب لدى الاغريق . وقد اهتم العلماء العرب به اهتماما كبيرا وترجم عدة مرات الى اللغة العربية (انظر كتابنا فن التصوير عند العرب الذي ترجمناه بالاشتراك مع الدكتور عيسى سلمان عن المؤلف الامريكي ريجار رانتفاوزن ، ونشرته وزارة الاعلام في سنة ١٩٧٤) .

(١٨١) المجلد الثاني صفحة ٢١٦ — ٢١٧ اصدرتها مؤسسة شركة غوليير الكندية المحدودة .
Golier of Canada Ltd.
وقد طبعت في الولايات المتحدة الامريكية في عشرين مجلدا سنة ١٩٦٦ .

(١٨٢) انتشرت الطبقة العاملة التي هجرت الريف بعدما اجتذبتها المشاريع في بغداد ، في كل انحاء العاصمة الغربية منها والشرقية ولم يعد هناك اي تمييز لها عن بقية سكان المدينة .

أيام السنة تطغى الحرارة المرعبة ، حيث ترتفع درجات الحرارة اثناء النهار الى مائة وخمس عشرة درجة فهرنهايت ، ولو ان درجة الحرارة اثناء الليل قد تهبط الى ثلاثين درجة .

وتبدا مياه دجلة بالهبوط ابتداء من شهر تموز حتى شهر كانون الاول ، لكن مستوى النهر يرتفع بسرعة في موسم الربيع . وفي معظم ايام السنة تتالف وسائط النقل التجاري في النهر ، من مراكب تسير في المياه الضحلة .

وتشتمل تسهيلات النقل على سكك الحديد وجملة خطوط جوية دولية ، وطرق معبدة تتفرع من المدينة . ويقع مطار بغداد الدولي في الجانب الغربي من النهر . وتبدا الخطوط الحديدية الكبرى من ذات المنطقة ايضا .

ويسير احد خطوط سكك الحديد ، ذي العرض القياسي ، الى الموصل ، ثم يجتاز الاراضي التركية الى اوربا ، ويمتد فرع منه جنوبا نحو ميناء البصرة . ومن بغداد يمتد خط حديدي ، بعرض متر واحد ، الى كركوك واربيل .. ويوجد طريق للسيارات يقطع الصحراء السورية الى البحر الابيض المتوسط ، ويمتد طريق اخر داخل تركيا ، وثالث نحو الشمال الشرقي من ايران .

ولا تحمل بغداد الحديثة سوى مشابهات ضئيلة لنفس المدينة التي كانت قائمة قبل ربع قرن مضى من الزمن . فلقد استبدل الجسران العائمان فوق نهر دجلة بجملة من الجسور الفولاذية الثابتة وذلك الجو النعسان الذي كان يطغى على الضفة الشرقية للنهر بشارعه التجاري الصغير ، وسوقه المسقف ، واحيائه السكنية المزدحمة التي لا يمكن الوصول اليها الا عبر ازقة ضيقة ؛ كل هذه قد اختفت الان عن الانظار نهائيا .

فلقد شقت شوارع وساحات واسعة معبدة بالحصباء ، تكتظ بسيول من سيارات الاجرة ، والنقل ، والسيارات الخاصة .

وتعج الساحة الرئيسة الموازية للنهر بفنادق مجهزة بادوات تكييف الهواء ، وبالمخازن والابنية الحكومية الحديثة ، وتمتد نحو الجنوب الى الاحياء السكنية الواسعة التي تحتل قسما منها بعض السفارات الاجنبية .

وقد ادى تيسير وسائط النقل الى توسيع المدينة توسعا هائلا ، وقيام الضواحي الجديدة التي يسكنها على نطاق واسع عمال الصناعات ، وموظفو الحكومة ومستخدموها ، وعدد من افراد الطبقة المتوسطة المتنامية .

ولقد انشئت جملة من المباني العامة . غير ان الانفجار السكاني الناجم عن الهجرة من الريف الى المدينة بحثا عن العمل فيها ، يعتبر من اعظم المشاكل القومية ، ذلك لان الالوف من الناس قد ارغموا على العيش في اكواخ حقيرة من الحصر(١٨٣) .

اسست جامعة بغداد في سنة ١٩٥٦ لكي تضم عددا من الكليات التي كانت قائمة آنذاك والتي كانت تحتوي على ستة آلاف طالب وطالبة ، بالاضافة الى جملة من المدارس والمعاهد الحكومية التدريبية من بينها كلية العلوم الدينية .

ولا توجد في بغداد سوى مناظر قليلة يهتم بها الزائر ، وهي نقطة البداية لسفرات الى المواقع القديمة من امثال سامراء ، وبابل وطيسفون . ويضم المتحف العراقي الفخم مجموعة متالقة من مواد التنقيب من هذه المواقع وغيرها من المواقع الاخرى ، وعلى الاخص من المواقع التي كانت مقرا لعصور السلالات الحاكمة الاولى .

لم يبق اي شيء من اثار المدينة المدورة التي انشئت في عهد المنصور . ونتيجة للغزو المغولي المدمر فلم يبق في بغداد سوى بضعة من المباني التي شيدت في العصور الاسلامية الاولى ؛ وتشتمل هذه على كنيتي الفقه «النظامية» و «المستنصرية»(١٨٤).

تقع الى شمالي المدينة ضاحية الكاظمية المكتظة بالسكان ، وبمراقد الائمة ، والتي لا يسمح لغير المسلمين بالدخول اليها وهناك اجزاء قليلة من الاسواق القديمة المسقفة تزود المتسوق باشياء كثيرة من المواد والحاجات النحاسية والبرونزية؛ والفضية والسجاد، والملابس الداخلية والمجوهرات القديمة .

تقع بغداد في سهل بين النهرين العظيمين دجلة والفرات ، وفي منطقة يسهل تطوير وسائل الري فيها . وتقوم بغداد في الموقع الذي كانت تحتله المدن المهمة في العصور القديمة والتي تلقت التجديد في العصر الاسلامي .

---

(١٨٣) ازيلت الصرائف والاكواخ من بغداد في اوائل الستينات غير ان تعاظم الهجرة الى بغداد من مختلف انحاء القطر في السنوات الاخيرة قد احدث مشكلة سكن معقدة .

(١٨٤) لم يبق للمدرسة النظامية اي اثر . اما المدرسة المستنصرية فقد تم ترميمها في السنوات القلائل الماضية وكان الفرد ان تتخذ دارا لحفظ المخطوطات المكدسة في صناديقها وبلا نظام حتى الان في مؤسسة الاثار العامة .

وفي سنة ٧٦٢م أمر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ببناء مدينة مدورة ، كمل بناؤها مع حصون واحياء واسعة على الضفة الغربية من النهر .

وفي نهاية ذلك القرن ، واثناء حكم هرون الرشيد ، اصبحت المدينة المدورة ، مقرا متالقا للعلوم والاداب ، اضافة الى كونها عاصمة للعالم الاسلامي ، وفي خلال القرن التاسع اصبحت سامراء التي تقع شمالي بغداد ، عاصمة للعباسيين زهاء نصف قرن من الزمان ، قبل ان تستعيد بغداد شهرتها .

ولقد اتسعت بغداد بامتداد الضفة الشرقية للنهر ، وبقيت المركز الروحي والدنيوي للعالم الاسلامي حتى سنة ١٢٥٨م ، حين اجتاحت قطعان المغول القادمة من الشرق المدينة وقضت على الاسرة العباسية الحاكمة ، وبعد ذلك الوقت بحوالي ثلاثة قرون ، تدهورت المدينة تحت امرة حكام متعاقبين الى ان تمت سيطرة الاتراك عليها في القرن السادس عشر ، ثم اصبحت خلال القرن التاسع عشر احدى الحواضر الاقليمية في الامبراطورية التركية . وبدات تنتعش .

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى استولى البريطانيون على بغداد في شهر آذار سنة ١٩١٧ . ثم اصبحت في سنة ١٩٢١ عاصمة لدولة العراق الحديثة . وفي سنة ١٩٤١ احتلت القوات البريطانية مدينة بغداد مرة اخرى ، بالتعاون مع الحكومة العراقية في هذه المرة ، وذلك لاخماد ثورة مؤيدة للالمان(*) .

كان التقدم المعتدل الذي شرع به بعد الحرب العالمية الاولى ، قد وصل الى درجة الشلل في السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية . يؤلف المسلمون الاكثرية الساحقة من السكان، وهناك حوالي عشرين الف مسيحي . اما اليهود الذين كانوا يؤلفون في وقت من الاوقات اكبر طائفة يهودية فقد هاجروا الى فلسطين المحتلة وكان عددهم ٥٥٨٨٢٠ نسمة . (دونالد والاس ، جمعية بحوث الشرق الاوسط) .

(*) لم تكن ثورة العراق في ١٩٤١ كما تزعم دائرة المعارف الدولية فهي ثورة قومية تحررية ، اعلنها العراق شعبا وجيشا على الوجود الاستعماري (الورد) .

بغداد (العراق) عاصمة المملكة ، واعظم مدينة في بلاد الرافدين على نهر دجلة . وقد ذكر ان بغداد القديمة مقر الخلافة ، والتي كانت تضم حوالي مليوني نسمة ، كانت تقوم على الجانب الغربي من النهر ، وكانت من اعظم مدن العالم الاسلامي .

اما بغداد الحديثة فتقوم على ضفتي النهر غالبا في وسط جغرافي للقطر . وكانت قديما محاطة بسور دفاعي من الاجر في شكل دائري ، يبلغ طوله زهاء ستة اميال . غير ان هذا السور في الوقت الحاضر متهدم بصفة عملية(١٨٦) . والمساكن مبنية من الاجر بصفة رئيسة وهي على النمط الاوربي بشكل عام . وهناك شبكة من الشوارع المعبدة بالاسفلت تربط كل انحاء المدينة ، وتؤلف واحدا من المظاهر الحديثة .

ومن المساجد التي يبلغ عددها زهاء مائة مسجد ، بقي عدد جدير بان يستحق المشاهدة ، ويمكن ان يجتذب الزائر اليه اما الكثير منها فهي مخربة ، وطراز عمارتها مغاير لطراز ما هو موجود منها في المدن الاسلامية الاخرى . غير ان لها مظهر مزوق عظيم من القاشي المزجج الذي يغطي قبابها ومنائرها ، وهي مرتبة في شكل نتاجات من الفسيفساء بمختلف الالوان .

والاسواق واسعة تعج بالسلع . وما تزال الاسواق التي بناها « داود باشا »(١٨٧) تعتبر من اشهر المباني الفخمة في العالم .

كانت بغداد منذ عهد طويل تهيمن على جزء كبير من وسائل النقل بينها وبين اوربا من ناحية ، ومع ايران والهند من ناحية اخرى . وما تزال التجارة الايرانية والهندية على نطاق واسع ، كما هو الامر ايضا مع اوربا ، حيث يتم نقل جزء كبير

(١٨٥) The Encyclopedia Americana
صدرت طبعتها الجديدة في سنة ١٩٤٨ في ثلاثين مجلدا اما طبعتها الاولى فكانت في سنة ١٩٢٩ نقلنا هذه المعلومات عن بغداد من المجلد الثاني ص ٨١ – ٨٢ .

(١٨٦) لم يبق من هذا السور الذي كان يحيط بمدينة بغداد منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله سوى باب واحد هو المعروف بالباب الوسطاني .

(١٨٧) داود باشا الكرجي اخر الحكام المماليك في العراق حكم في الفترة ١٨١٦ – ١٨٣١ م حيث استرد العثمانيون سيطرتهم على العراق بعد مقتله . ويعزى الى داود باشا بناء السوق المسقف المعروف باسم سوق السراي .

منها بالمراكب في النهر . وكانت التجارة مع اوربا سابقا واسعة كثيرا بطريق البر ايضا ؛ وذلك عبر الصحراء السورية الى دمشق ، وعبر طريق ارمينيا شمالا .

ومنذ ان فتحت قناة السويس غدت الطرق البحرية اكثر اهمية ؛ فانحط النقل عبر الهند بعض الشيء . غير ان تطور تسهيلات النقل بالسكك الحديدية جعل منها السوق التي يمكن الاستيراد منها من منطقة البحر الابيض المتوسط والتصدير اليها .

كانت الاصواف هي الصادرات الرئيسة الى اوربا ، بالاضافة الى الشعير والحنطة والصمغ والجلود والعفص ومصنوعات الجلود ، اما المستوردات فكانت تشمل الحديد والنحاس والسكر والقهوة . وكانت توجد في بغداد عدة مصنوعات من ادوات نحاسية ، ومن الملابس ، والاصباغ وغيرها .

تكون درجة الحرارة في بغداد خلال الصيف شديدة جدا . ولكن الشتاء فيها بارد ايضا ، الى درجة يصبح استعمال النار امرا ضروريا . والمناخ فيها مقبول ، وصحي بوجه عام . ويسكن المدينة العرب والاكراد والاتراك والفرس والارمن واليهود. ويؤلف العرب المسلمون غلبية سكان المدينة . ومع ذلك فان جميع الاقليات العرقية والدينية تشترك على قدم المساواة بكل الحقوق التي تتمتع بها الاغلبية العربية . وطبقا لتخمينات سنة ١٩٤٨ بلغ عدد سكان بغداد حوالي ستمائة وستين الف نسمة .

× × ×

اسست بغداد سنة ٧٦٢م على يد الخليفة المنصور . وبلغت درجة رفيعة من المجد في القرن الثامن الميلادي على يد الخليفة هرون الرشيد الذي شخصته قصص الف ليلة وليلة . وقد اصبحت آنذاك المدينة الرئيسة في العالم الاسلامي كله ، ومركزا عظيما للثقافة وللعلوم .

وتعاظم هذا التقليد الثقافي للمدينة بعد ان تطورت كمركز تهذيبي ومقر للعراق الحديث حيث انشئت كليات تدريب المعلمين ؛ والصيدلة ، والهندسة ، والمدارس العسكرية . وتشتهر المدينة ايضا بانها المركز المهم للصناعة والتجارة والمواصلات في العراق . وبرهنت المناظر الجميلة على امتداد شاطىء النهر بانها كانت المغناطيس الذي يجتذب السواح .

في القرن الثالث عشر الميلادي اجتاح حفيد جنكيزخان مدينة بغداد فقضى على الخلافة وذبح اخر الخلفاء منها وطرد احفاد الفاتح هولاكو على يد تيمورلنك . وفي القرن الخامس عشر استولى الشاه اسماعيل اول حاكم من البيت الصفوي الفارسي على بغداد . ومنذ ذلك الوقت اصبحت المدينة عرضة لحروب مدمرة بين الاتراك والفرس. وبعد حصار واسع افتتحت المدينة على يد الامبراطور التركي مراد الرابع . وحاول « نادر شاه » بلا جدوى ، خلال القرن الثامن عشر استخلاصها من ايدي الاتراك .

وفي سنة ١٩١٧ خلال الحرب العالمية الاولى، افتتحتها القوات البريطانية بعد هزيمة الجيش التركي الذي كان يدافع عنها . ثم اصبحت بعد عقد معاهدة السلام عاصمة للعراق ، ووضعت تحت الانتداب البريطاني بقرار من عصبة الامم ، واستمرت عاصمة قومية بعد توقيع معاهدة ١٩٣٠ .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية احتل العراق مرة اخرى من قبل القوات البريطانية وذلك في شهر تموز سنة ١٩٤١ للقضاء على ثورة عسكرية فيه ، وفي سنة ١٩٤٥ منحت الحكومة حق نقل العاصمة في حالة الضرورة ، من بغداد الى اي مكان اخر من الاراضي العراقية .

× × ×

سكة حديد بغداد

اسم شهير لخط حديدي يمتد الى الكويت قرب راس الخليج العربي في الجنوب ، ومن هناك يصعد عبر العراق الى البصرة وبغداد والموصل ، ومنها عبر اراضي سوريا الى الحدود التركية ومن هناك يسير داخل سوريا الى نقطة تقرب من حلب. ثم يسير شمالا ليتفرع منه فرع يمتد الى اسطنبول، في حين يسير الفرع الثاني جنوبا نحو حلب ليربطها مع طرابلس وحيفا ، ثم ينتهي في القاهرة .

ولقد اصاب هذا الخط اهمية دولية في اواخر سني ١٨٩٠ عندما اصبح يعرف باسم طريق القيصر فلهلم الثاني امبراطور المانيا ، وذلك على اثر زيارة قام بها لسلطان تركيا ، وحصل خلالها على وعد بمنحه امتيازا لبناء سكة حديد يمتد من «قونية» الى الخليج العربي .

وكان الالمان قد حصلوا قبلا ؛ وعن طريق الجهود التي بذلها الدبلوماسي الالماني البارون

مارشل فون بيبر شتاين ؛ على امتياز امده تسع وتسعون سنة لبناء خط حديدي من انقرة الى ازمير ، ويتصل بالخط الحديدي القائم هنالك انذاك . وقد مول هذا المشروع من قبل « شركة سكة حديد الاناضول » التي كان يسندها البنك الالماني Deutsche Bank .

اثار الامتياز الذي ظفر به القيصر شكوك عدد من الدول الاوربية وعلى الاخص بريطانيا العظمى ، التي اعتبرته مشروعا يهدف الى قطع شريان حياة بريطانيا في الهند . وسرعان ما اصبح الطريق يعرف باسم « سكة حديد برلين ـ بغداد Berlin - Bagdad Bahn وقد جسد الخطة الالمانية الرامية الى اقامة خط مباشر عبر اوربا واسيا الى الخليج العربي .

وفي سنة ١٨٩٩ ، وبعد وقت قصير على زيارة القيصر لاسطنبول منح سلطان تركيا امتيازا الى شركة سكة حديد الاناضول لبناء خط واحد (من قياس عرض اربعة اقدام وثماني بوصات ونصف) يبدأ من قونية حتى النهاية الشرقية لسكة حديد الاناضول ؛ ويمتد الى الكويت على الخليج العربي، مارا ببغداد ، ويبلغ طوله الفا وخمسمائة وخمسين ميلا .

كان الطريق المقرر ان يسير الخط فيه ، ابتداء من قونية الى ادنه ؛ ومن هناك يتجه جنوبا الى حلب ، ومنها الى طرابلس ؛ ثم يجتاز نهر الفرات الى الموصل ؛ حتى يصل الضفة الغربية من بغداد ، ومن هناك يسير الى الخليج العربي[١٨٨] .

ولقد افتتح خط (قونية ـ اوغلي ـ بلغاريا) ؛ والبالغ طوله مائة واربعة وعشرين ميلا ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٠٤ وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى كان حوالي الفا ومائتي ميل من مجموع طول الخط البالغ الفا وخمسمائة وخمسين ميلا ، قد كمل بناؤه ما عدا بعض الثغرات في بعض الاقسام المهمة .

كان اول قطار بين البصرة وبغداد قد غادر مدينة البصرة في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٠ . وفي سنة ١٩٣٦ قررت الحكومة العراقية ربط الموصل بكل من تل كوجك وبغداد من النقطة التي كانت ينتهي بها في « بيجي » وقد كمل بناء هذا الخط وبكلفة ثلاثة ملايين باون ؛ وافتتح في السابع عشر من شهر تموز سنة ١٩٤٠ .

---

(١٨٨) بدأ الالمان العمل في مد سكة حديد بغداد برلين في جانب الكرخ منطقة السكك الحالية في سنة ١٩١١ واعدوا لذلك عمارتين هدمت احداهما وماتزال الاخرى قائمة بجوار دار الاذاعة وباحيدا لو حوفظ عليها كاثر له اهميته التاريخية وحين اندلعت الحرب العالمية الاولى كان الخطر قد وصل الى سامراء فتوقفت الاعمال فيه ، ثم استانف الالمان بعد احتلالهم بغداد مدة قاوصلوه الى قضاء الشرقاط اول الامر لكنهم مالبثوا ان ارجعوه الى بيجي الى ان شرع باكماله مجددا في عهد حكومة حكمة سليمان ١٩٣٦ .

WWW.ATTAWEEL.COM